
روايات مصرية للجيب
52
ما وراء الطبيعة
أسطورة مملة
Looloo
د. أحمد خالد توفيق
www.dvd4arab.com

مقدمة

مرحبًا بكم ..

لو صحت توقعاتي فأنتم تطالعون هذه السطور في الشتاء .. والشتاء فصل أثير إلى نفسي .. أعتقد أنني بحق كائن يستمد وجوده من الشتاء والظلام .. يقول البعض إنني أنا نفسي شبح ، وإنني سأكشف عن هذه الحقيقة يومًا ما ..

في الحقيقة لست ميالاً إلى هذه الفرضية الشريرة .. كل ما في الأمر أن من يعش دهرًا مع الرعب يصير غريب الأطوار إلى حد ما .. وربما مخيفًا كذلك ..

اليوم نجلس معًا .. نصغي لأصوات الأمطار في الشارع ونرتجف ، ونتساءل ماذا لو لم نكن هنا ؟ ماذا لو كنا في العراء .. في البرد والظلام .. في أماكن لم يرها بشر ولا يقدر أن يبلغها بشر ؟

إلى الشوارع المبللة بالمطر .. إلى القطط التي يبدو أنها ليست قططًا حقًا .. وإلى الماشين تحت الأمطار الذين يصعب أن تتأكد من حقيقتهم .. إلى كل هؤلاء أرسل تحياتي أسألهم أن يتركوني وشأني ..

الليلة أحكي لكم قصة مملة ..

أسمع البعض وهو يتثاءب : وما الجديد في هذا ؟ البعض الآخر يتساءل في خبث : وماذا كنت تفعل في كل الكتيبات السابقة إذن ؟ البعض يعتقد أنها دعابة وأنني أخرق بهذا القواعد .. البعض يعتقد أنني - فقط - أتحذلق ..

الحقيقة أنه لا مزاح في الأمر .. إن أسطورة اليوم مملة .. وحين يحدثكم (رفعت) إسماعيل بأسطورة مملة فإنه يعني ما يقول ..

لماذا هي مملة ؟ الجواب واضح تمامًا ... لأن كل

أحداثها تدور في حقل ، وهو حقل غريب ، لكن لا شيء تقريبًا يحدث فيه .. إن جريمة قتل أو اثنتين أو ثلاثًا في حقل لا تشكل حادثًا غير معتاد هذه الأيام ..

إذن لماذا أحكيها ؟ سؤال غريب ! بالطبع أحكيها لأنها تختلف عن القصص السابقة أو هكذا أحسبها .. لقد اتفقنا على أن هذه الروايات (تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة) .. فماذا عن قصة لا تفعل هذا ؟ أليس هذا هو التجديد الحق ؟!

تعالوا نقرأ الصفحات التالية ، ولسوف نفهم أكثر ..

* * *

١ - دكتور (سامى) من جديد ..

حين تلقيت دعوة الدكتور (سامى) إلى ذلك الحفل فى الفيلا الأنيقة التى يعيش فيها مع امرأته مدام (ثريا) ، استغرقت نحو ساعة كى أتذكر من هو الرجل ، وكيف يجرؤ على دعوتى إلى حفل ..

ثم تذكرت الرجل الذى فى ضيافته كانت حلقة الرعب الأولى فى حياتى .. الرجل الأنيق المهذب الذى تشعر كأنه خرج من الحمام لتوه .. كلماته أنيقة .. أفكاره أنيقة .. أحلامه أنيقة .. وهذا يسبب لى الكثير من الغيظ .. فإننى أجد فى هذا كله شيئًا غير آدمى .. متى يفقد هذا الرجل وقاره ؟ ، ومتى يكون قميصه مهددًا بالعرق ؟ ، ومتى يصاب بعسر هضم أو يبرم قطعة من الورق ليسلك بها أذنه ؟

ثم هدأت قليلاً وقرأت الدعوة .. طبعًا لابد أن يتعامل هذا الرجل بأسلوب بطاقات الدعوة المطبوعة

كأننا فى البلاط النمساوى ، وقد كانت تكفينى كلمتان فى الهاتف : تعال .. حسن .. كانت الدعوة تقول : إن هناك حفلاً ، وإن غرضه التعارف .. وإنه سيبدأ الساعة التاسعة من مساء الثلاثاء يوم 31 ديسمبر .. هناك رأس سنة فى الموضوع .. إذن هناك الكثير من الحمقى الذين يلبسون الطراطير ويتظاهرون بالمرح ..

قررت أن أعتذر .. لابد أن أعتذر ..

كما يعرف القراء ، كان هذا الرجل مصابًا بنوع من المرض الاجتماعى يجعله لا يطيق أن يبقى وحيدًا يومًا واحدًا ، وهو ما فسرته بعشقه المرضى لغاز ثانى أكسيد الكربون .. أما أنا فأعشق الأكسجين ، ولا أطيق أن أمضى ليلة مع أشخاص يتبارون أيهم يصيح أعلى من الآخر ..

كان هذا قرارى حتى اليوم الثامن والعشرين من الشهر ..

ثم جاء موضوع يد (بيزارو) المبتورة التي تزورني ليلاً، والتي كانت تنوي الانتقام مني في يوم ثلاثاء .. تعرفون بالطبع هذا الطراز من الأشياء .. هل تذكرون هذه القصة ؟ لم أحكها ؟ غريب .. أنتم تنسون .. لابد أنني حكيتها وأنتم تنسون ما أقول .. هذا يضايقني فعلاً ..

ماذا ؟ حقاً لم أحكها ؟ لا يهم .. إنها خارج الموضوع على كل حال .. أردت أن أقول : إنني كنت راغباً أشد الرغبة في ألا أتواجد في داري ليلة الثلاثاء .. ولكن أين أذهب ؟ من المؤسف أن أية غرفة في فندق معرضة للهجوم عليها، وكذا لو أمضيت الليل عند (عزت) .. أريد مكاناً مكتظاً بالبشر فأين هذا المكان ؟ هناك الفنادق الكبرى حيث تقام حفلات رأس السنة، وهناك التخشيبة في قسم الشرطة - وهو حل غير محبب - وهناك بالطبع حفل دكتور (سامي) ..

هكذا اتخذت قراري .. إن الحفل مهما ساء لن يكون أسوأ من يد (بيزارو) ..

واتصلت بالدكتور (سامي) أشكره على الدعوة، فنصحني - في شيء من الحرج - أن أتأنق قليلاً؛ لأن هناك شخصيات لا بأس بها ستكون في الحفل .. وهكذا وجدت نفسي مجبراً على ارتداء (البذلة) الكحلية التي تجعلني فاتناً ..

وفي التاسعة إلا الربع وصلت إلى الإسكندرية، واتخذت طريقي إلى الفيلا مضطرباً ..

* * *

كما قلت من قبل كانت الفيلا آية في الرقي والذوق .. صحيح أنها لا تتغير أبداً، ولا يمكن أن أزعم أن هناك مقعداً فارق مكانه بعد كل هذه الأعوام، إلا أنها كما كانت دائماً تحفة فنية تتمنى أن تتخذها بيتاً ومكتباً وقبراً .. نباتات الزينة التي لا تموت أبداً، والأثاث الأزرق الذي يلعب لعبة الألوان مع الجدران البيضاء .. أو الأبيض الذي يلعب مع البساط الأزرق لعبة الظلال .. أو ...

كان د. (سامي) وسيمًا كالعادة يرتدي سترة بيضاء وربطة عنق أنيقة ، وكان بعض الشيب قد غزا مفرقيه لكنه زاده وسامة .. ثمة نوع من الشيب يحول الشعر إلى فضة ثمينة ، وشيب ـ كما يحدث معي ـ يجعل الرأس كأنما غمس في جوال دقيق ..

قال لي في مرح اجتماعي :

ـ « أيها الصديق .. أيها الصديق .. كدت تنسى أنني موجود على ظهر الأرض .. »

وراح يكررها وهو يرتجف دون سبب مفهوم ، وظهرت مدام (ثريا) في كامل أناقتها ، فحيتني بهزة رأس أرستقراطية .. وقالت :

ـ « منذ تلك الليلة المرعبة لم نرك ، وبقي أن أشعر أن الرعب مفيد أحيانًا .. »

قلت لها في تهذيب :

ـ « إن كل لياليّ مرعبة فلم أعد أميز أيها كانت أفضل .. لكني مسرور على كل حال .. »

والحقيقة أنني قابلت الرجل عدة مرات ، منها مرة كان مقيمًا في القاهرة يمارس رياضة الهرولة .. وكنا لم أفهم قط السبب الذي يجعل رجلاً بالغًا يحصو في شمسمسة صباحًا ليجري .. لكني لم أمت عجبًا أنه لم يمت .. برغم كل شيء نحن متساويان ..

ودخلت إلى قاعة الجلوس الكبيرة الرحبة التي تذكرك بميدان التحرير .. كان هناك عدد لا بأس عن المدعوين شيئًا بين واقف وجالس .. ضاحك ومفكر .. متكلم وصامت .. رجل وأنثى .. والكلام يحدث ذلك الطنين المستمر الذي لا تعرف ما هو ، لكنه مزعج بما يكفي ..

أعرف هذه اللحظة على قلة ما شهدت من حفلات .. ألعب دور زهرة الحائط الخجول التي لا تجد من يكلمها أو تكلمه .. فأجلس في ركن ما ، وأراقب الجميع ، وأتظاهر بأنني أعمق منهم وأفضل ..

لكن كان الحظ وافرًا بالنسبة لي هذه المرة .. لا لم أر (عادل) رفيق طفولتي ، ولحسن الحظ لم تكن هنا

(هويدا) وزوجها .. كان الدكتور (رمزى حبيب) عالم المصريات جالسًا إلى جوار زوجته (مارى) .. نسيت أن أقول لك : إنه صديق مشترك لنا ، وبالمناسبة هناك شبه غير عادى بين (سامى) و(رمزى) كأنهما نفس الرجل بالطباع ذاتها والعادات ذاتها .. فقط أحدهما تخصص أن يدرس المصريين القدماء ، والآخر تخصص أن يدرس نفسية المصريين المعاصرين .. بالإضافة لهذا ليس د. (رمزى) لوردًا إنجليزيًا متخفيًا كما يجب أن نطلق على د. (سامى) .. إن د. (رمزى) ابن بلد حقيقى ، يفهم الناس جيدًا وله بديهة سريعة ودعابات كالرصاص ..

هذا جميل .. على الأقل لن أشعر بالوحدة ..

بعد السلامات والمصافحات والـ (كيف حالك أيها العجوز المنحوس ؟) والـ (هل لابد أن نزور الإسكندرية كى نلتقى ؟) .. بعد هذا كله اتخذت مجلسى إلى جوارهما ، ونظرت إلى الساعة .. كانت التاسعة والنصف .. سنرحل بعد ساعتين ونصف أو أكثر قليلاً ..

أنا سأذهب إلى تلك البنسيون الذى اعتدته ، لأننى لم أعد أطيق القيادة الليلية ، وهما يقيمان فى شقتهما هنا على ما يبدو ..

قلت له باسمًا وأنا أشير إلى الحضور :

ـ « هل كل هؤلاء أصدقاؤه ؟ »

قال فى استخفاف :

ـ « ليس عددهم كبيرًا .. كنت خلفت أمس لا أكثر .. لو أن المحفل كان مقصورًا على شخصين لقلت الشىء ذاته .. »

ـ « وهل وجه دعوات إلى كل هؤلاء ؟ »

ـ « يبدو لى أنه لا يعرف بعضهم ولم يدعه .. أنت تعرف عادة البشر .. ادع واحدًا وسوف يحضر خمسة وتجد نفسك فى موقف غاية فى السوء من ناحية المزن والإمدادات .. »

رحت أراقب الناس ، وبدا لى بالفعل أنهم مجموعة متباينة من الأشخاص لا يربطهم شىء ..

ظهر عازفان تعيسا الحال؛ أحدهما يحمل كمانًا، والآخر يحمل عودًا، وجلسا في مكان مرموق من القاعة، ثم تقدمت فتاة شبه حولاء تتغنى أغنية قديمة لـ (ليلى مراد).. أغنية من تلك الأغاني التي يقف فيها (أنور وجدي) بقناع ضابط المصري وسط الجموع، ليرمقها في افتتان..

في البدء دهش الناس لهذا الاقتحام ثم بدءوا يتحمسون ويشجعون..

هنا ظهر د. (سامي) من مكان ما، وقد تفصد جبينه بحبيبات العرق من فرط الإنهاك، وقد تقلد سيما رب البيت الذي يضحي بأي شيء من أجل ضيوفه.. رآنا فابتسم على طريقة (آه - هأنذا - قد - وجدت - رفيقًا - جميل - جميل).. فابتسمنا على طريقة (لا - تقلق - من - أجلنا - كلنا - فله - في - حواله)..

لكنه دنا منا وجلس جواري، بينما صوت المطربة يخرق طبلة أذني.. وضع يده على ركبتي وقال:

- « إن لدينا هنا أغرب مجموعة من المخابيل في العالم..»

- « آه ! أنت تفهم هذه الأمور جيدًا.. ومن أتى بهم هنا ؟ »

- « لا أدري.. لكني لن أسأل أحدهم من أتى به.. لن يكون هذا أرقى تصرف ممكن »

وابتسم في تعب.. فعدت أسأله:

- « مخابيل من حيث ؟ »

هز رأسه:

- « لا أدري.. لكنهم غريبو الأطوار حقًا.. »

ثم أشار إلى أحدهم، وهمس في أذني:

- « هل ترى هذا الشاعر العظيم ؟ هل يكفي هذا لجعل العقل غريبًا ؟ »

نظرت إلى حيث أشار فوجدت جوار المدفأة شابًا نحيلاً أسمر له وجه حزين شفاف.. وجه شاعر بالفعل، وكانت ثيابه أنيقة ملتصقة، وإن كان حجم نصفه الأسفل أضخم قليلاً مما لا يتناسب مع نصفه الأعلى..

لم يكن وسيماً على الإطلاق ، لكن النظرة الساهمة المكسورة في عينيه تنقلك إلى عالم لا تذكر أين هو ، لكنك تعرفه ..

وجواره كانت زوجته .. كيف عرفت أنها زوجته ؟ لأنني عبقري .. أعني أنهما كانا يتهامسان من حين لآخر ، وأحياناً كان يربت على خدها وهو يصغي إلى الأغنية .. هذا كل وقتة ..

زوجته كانت أجمل شيء رأيته في حياتي .. لم تكن جميلة .. دعك من المزاح .. لقد كان جمالها خارقاً يتجاوز كلمة الجمال .. كان ينتمي إلى سديم كوني أرقى وأطهر وأسمى من عالمنا ، ولا تنطبق عليه صفاتنا الأرضية .. كنت أعتبر دوماً من يقول (غروب جميل) شخصاً أحمق .. الغروب أسمى وأرقى من هذه الألفاظ الأرضية المبتذلة ..

كانت حزينة مثله بالضبط ، وإن كانت بشرتها الرهيفة الحساسة التي تنبض الأوردة من تحتها ، تعكس الحزن كما لا تستطيع أية كلمات أن تعكس ..

جوارهما كان طفل جميل في الخامسة من عمره تقريباً ، وأدركت أنه طفلهما كما هو واضح ، لكنه استمد جماله من الأم ..

كل هذا لا يثير شيئاً من الدهشة في نفسي .. هناك خمسون ضيفاً هنا ، ويمكن أن تجد بينهم شتى الأشكال والطباع .. ولو أطلق أحدهم صهيلاً ، أو أخرج أحدهم من أنفه خرطوماً فلن يكون هذا غريباً .. يكفي أن شخصاً غريب المظهر مثلي هنا بين المدعوين ..

ألم أعدكم أن تكون أسطورة مملة ؟

* * *

٢- الشاعر ..

انتهت المغنية من هذا الذي تغنته .. وقد برزت كل أنوثتها إلى الحد الذي كان سيقتل (ابن الرومي) عمدًا ؛ فهو الذي وصف براعة المغنية بأنك لا ترى لها وريدًا ..

الآن تفرق الناس .. ورأيت سيدة حسناء في منتصف العمر تدنو من الشاعر وتهمس في أذنه .. من هذه إذن ؟ هز رأسه مرارًا في أدب ثم عاد لشروده ، ولاحظت أن الحسناء الشابة ليست مسرورة جدًا بهذه الهمسة ..

خيل إلي أنه يحدث السيدة الأكبر سنًا بلفظة (ماما) .. ماما ؟ لو كانت هذه الحسناء أمه فلابد أن أباه كان يشبه العفريت .. الأمر إذن واضح .. هذه أمه التي تملك السلطة كل السلطة عليه ، وهذا بالطبع

لا يرضي زوجته الشابة التي لا ترضى أن يكون رجلها (ابن أمه) .. دعك من أن أمه - كما هو واضح - قوية الشخصية مسيطرة ومن الطراز الذي نسميه (يكيد ولا يكاد) .. أي أنها قادرة على جعل حياة زوجة ابنها الرقيقة جحيمًا ..

إن علاقة الحماة بزوجة ابنها تثير دهشتي .. إنني أجدها في صورتها البدائية صراعًا بين امرأتين على رجل الكهف .. الأم تعتبر أنها صنعته وعلمته كل ما يعرف ، وتستحق أن يظل لها للأبد ، فلن تأتي حدأة لا موهبة لها إلا أنها تضع طنًا من المساحيق كي تسلبها إياه .. والزوجة ترى ببساطة أنه لا ذنب لها ؛ لأن هذه سنة الحياة ..

هنا تلعب الأم لعبًا قاسية مع الزوجة .. يا حسرتي عليك .. ألم تتم الهانم بخياطة هذا الزر ؟ أصلك مستعجل .. ألم تطه لك البامية كما تحبها ؟ أصلك مستعجل .. ثم قل لي : لماذا تلبس الهانم هذا الثوب الذي لا يناسب وزنها ؟ ولماذا تصفف شعرها بهذه الطريقة التي تذكرني بالمكنسة ؟

ثم تتوج يديها في رقبته وتتوسل: لا .. لا
نرجوك .. لا تؤنبها .. لا يعنيني إلا أن تكون
سعيدا .. نفس ما قلته لك .. وهب لي القميص كي نخيط
لك هذا الزر ..

هذا السيناريو بالطبع لو كانت الزوجة وديعة،
والأم من طراز أم الشاعر هذه .. العكس وارد طبعا

الحمد لله على أنني لم أتزوج بعد .. كي
لأتحمل عبء التدبير هذا ..

كنت غارقا في هذه الخواطر حين دعاني د. (رمزي)
إلى الخروج للشرفة بعض الوقت

نهضت ونهضت زوجته وتبعتها إلى الشرفة التي
تطل على الحديقة المظلمة الباردة .. صفير نكبه
منعش .. والأضواء في كل صوب، لأن الليلة غير
عادية كما تعرفون .. برد الإسكندرية الجميل الذي
لا يوصف بكلمات ..

كانت الشرفة خالية كما لاحظتم؛ لأنه ما من مجنونين
كثيرين يرغبون في الوقوف في الشرفة في هذا الجو

لاحظت أن الشاعر يقف بالقرب منا، ويرمق
النيل في نهم وجوع .. كانت يحتضن الطبيعة كلها
بعين رسيه وعينيه .. وسمعته يتمتم بشيء من كالفقط
التي تفر ..

قال (رمزي) وهو يتبادل مع زوجته همسة خبيثة:
ـ «هذا شاعر على ما أظن .. إنك تجدهم تحت
كل حجر في هذه الأيام ..»

قلت في توتر:
ـ «لا أدري .. إنه يبدو شاعريا جدا، فلو كان
بوسع المرء أن يحكم على الناس من منظرهم، لكان
هذا الرجل هو (المتنبي) أو (ناجي) ..»

وحاولت أن أسمع ما يقول، لكن صوته كان خفيضا
جدا .. في النهاية غلبني الفضول فمشيت إليه وقمت
بجرأة أفتقدها غالبا

ـ «لا أريد أن أبدو وقحا يا سيدي .. لكن هل
بوسعك أن أسمع بعض شعرك؟»

نظر بي وهو لا يراني .. نظر عبري .. وهمس

- « لن تفهمه يا سيدي .. لن تفهمه .. »

إنه ولع بهذا .. أقرت له الظهور والتظاهر بأنني لم أقل له شيئا ولم أسمع شيئا

هب بعد ينشد الشعر كأنما فر من هجاء لمن سيفهمه

- « من أجله أنت يا سيدي ..

تعلم شعري فنون المديح ،

وحاربت كل المروءة وكل الكياسة [?] وكل الدعاة وكل الرعاة ..

من أجله أنت يا سيدي ..

فهمت القصائد والأغنيات

وترنيمة الطير فوق الغصون

وهمس العيون ..

لأن الطبيعة في ذاتها .

هي فن من فنون المديح .

صفقت بكفي في غير اقتناع .. هذا ليس شعرا وليس نثرا ، وهذا هو الكلام المكسور الذي يحلو لبعض من أفهمه [?] .. أتوقع في الشعر أن يحوي بعض الموسيقى سواء موسيقى الكلمات أو موسيقى المعنى لكن هذا شعر جاف كالصحراء

وأدركت أنه يقول أي كلام حين لاحظت كيف جمع بين (رعاة) و (دعاة) و (قساة) .. ما دخل الرعاة في الموضوع ؟ هل لو طال البيت قليلا لأضاف (حداة) مثلا ؟ وتذكرت بيت الشعر الجميل للبحتري الذي يقول :

فلكم ترى من صامت لك معجب

فـزيـادته و نقصـه يتكلـم

بدأ الفتى - يا للمصيبة ! - يتحمس وراح يتحدث عن قصيدة أخرى أكثر امتاعا ، فاضطررت أن أخرسه بالهجوم المباشر :

- « هل أنت شاعر بالمهنة ؟ »

تنهد في عمق وقال :

ـ « لا .. أنا من اللاعبين ، ولكن الشعر المدرسي على

تعب إلى حد أنني لا أجد الوقت الكافي لنصيبه بملاكي »

ثم مد يده السمراء النحيلة الجافة ليصافحني ، وقال

ـ « أنا (مراد سليم) من أعيان الصعيد »

ـ « (رفعت إسماعيل) من مفلسي القاهرة »

مع تحلل الفجر والندى وهمس النور في الشرفة

لعرفت أنه وجهه قد تحققت به [illegible] حيث يهرع راس

مهذبه . ثم [illegible] وسمعها بشكل ما طرفا من

كلامها وإن لم تقصد هذا ..

كانت تقول له في صيغة لائمة

ـ « إنهم يستولون على كل شيء وأنت هنا لا تفعل

أي شيء .. يجب أن تكون جديرا بالاسم الذي تحمله

لو كان أبوك رحمه الله هنا »



قال في صوت ضاغط على مقاطع كلامه

- « أنا غير ليبي في كل شيء .. في التفكير في الدين .. في كل شيء .. وأنا شاعر ولا أعتبر نفسي مقاتلا على الإطلاق .. لكني أخبرت (محب) كي يتولى الأمر .. »

قلت هامسا للدكتور (رمزي)

- « كيف يكون غير ليبي في الدين ؟ »

- « ششششش !! » - ووضع إصبعه على شفتيه محذرا - « إن الناس تقتل بسبب أقل من هذا .. »

عندما دخلت الشرفة ، رأيت شخصا ضخما من تلك الجدران الآدمية التي شاهدت مثلها الكثير منذ جئت البلد . يطل علينا .. كان أسمر اللون عريض المنكبين تبدو بدلته كأنها ستتمزق من فرط ضغط العضلات

لم يلتفت شاعرنا العالم . وقال وهو ينظر للحديقة

- « تعال يا (محب) .. ماذا فعلت ؟ »

بصوت غليظ عميق يتكلم الأخ (محب) الذي لا يليق باسمه الرقيق :

- « كما قلت لي .. ذهبت إليهم وأفهمتهم الوضع لكنهم ... ربما بحجة إنك هناك .. »

- « سأفكر في ذلك فيما بعد .. أين (علاء) ؟ »

- « إنه يلعب وحده .. الأطفال يموتون ضجرا لو لم يجدوا أطفالا مثلهم .. »

- « حسن .. تعالوا نسير عنه قليلا .. »

وخرجت المجموعة من الشرفة .. وعدت بشخصي بحرية وإن ارتجفت قليلا بفعل البرد الشديد

قلت وأنا أنظر من وراء كتفي

- « ألا ترى فيهم مجموعة غريبة بعض الشيء ؟ »

قال د . (رمزي) في ضجر . وهو يتبادل مع زوجته نظرة ساخرة :

- « أنت عشت الغربة إلى حد أنك تجدها في ماسورة المطبخ »

بلا عزم قلت وقد ضايقني أنه لا يرى ما أراه

– « واحد من أعيان الصعيد يختلف عن أبيه في كل شيء حتى اللبس . وهناك من يسطون على ثروته بينما هو غارق في نظم الشعر .. زوجته بارعة الحسن لكن علاقتهم ليست على ما يرام .. إنها تسيطر عليه تماماً كما لاحظت أنا . ورجل يشبه جبن المقطم هو الذي يلقي به بحقه .. فتقدم ... لم يكن صديقه القوي هذا يمرح في سلاكه .. وربما كانت الزوجة تحبه .. »

صاح وهو يضرب كفاً بكف :

– « (رائعة) !! أنت تشاهد الكثير من أفلام ستيفن (روس) مؤخراً .. هذا هو الواقع يا صديقي حيث لا يحدث شيء كهذا .. »

– « نعم هذا هو الواقع .. لهذا أندهش لحدوث أشياء كهذه .. »

تجمدت مدام (ماري) تلوريب برغم أنها مسحت شالها على جسدها ، وعكست أنها راغبة في العودة إلى الداخل .. كالعادة أعلنت عن سخطها الشيء ذاته

وفي الداخل كان المهرجان مستمراً

* * *

الآن كانت هناك فرقة باليه تتكون من فتيات ثم أو رشيق معهن ولا أخف حركة .. وكن يرقصن على موسيقا خفيفة جداً لا تتجاوز نقرات على الطبل و(دمشة) على الوتريات .. وكن الكل يتابع الرقص بهمهمة . بينما خطر لي أن د. (سامي) لا يفتقر إلى الثراء فعلاً .. هذا حفل كامل بفقرات متنوعة لابد أنها كلفته مالاً ..

وجدت د. (سامي) جواري ينظر في ذهول لكل هذا .. سألته باسماً :

– « من أين جئت بهؤلاء ؟ لم أعرف أنك بهذا الثراء .. »

نظر لي بعينين لا ترى وقال :

– « أقسم إنني لم أحضر هؤلاء .. »

– « يا سلام ! كانت هذه الراقصات مدرات في الشارع حين .. »

— « كــلا .. هنـاك (عباس) .. لقد وعدني بأن يرتب بعض الفقرات الترفيهية ، ولم أعرف أنه سيحول داري إلى ملهى ليلي .. تبا لك يا (عبـاس) !؟ لو رأيته سأحوله إلى سجادة »

أين هناك (عباس) وقد خدعه .. فهمت الآن

— « على كل حال هذا يكفيه .. ليس الأمر بهذا السوء .. »

لكن ينبغي أن أعترف أنني انبهرت ، لأنني رأيت وجوه الرجال [illegible] ، فتوقعت أن يكون وجهي وجهًا من هذه الوجوه ..

لقد بدأت أشعر أن الأمسية ستكون طويلة جدًا أنا مشتاق للفراش فعلا .. تبًا لك يا (بوبو) لو لم تكن بهذه تبحث عني الآن ، لكان بوسعي أن أذهب إلى بيتي وأشرب بعض الشيكولاتة الساخنة في الفراش ، مع كتاب عن الأشباح .. لكنك حكمت علي بالنفي فلن أرى شقتي العزيزة إلا غدًا

حين وجدت العجوز [illegible] بسبب حالتي

كي جلست على أريكة في ركن أتمكن من شرب بعض [illegible] لا أدري من أين جاء به .. وكان [illegible]

[illegible] وجلست على الأريكة جواري .. [illegible] ، تعرف أن كانت [illegible] صغيرة .. وقال بصوت وهو [illegible]

— « هل أنت من [illegible] ؟ »

لا أدري .. [illegible] من عيني ، [illegible] هززت رأسي في [illegible]

— « أكثر [illegible] قريبة جدا من (فاقوس) .. »

— « آآآآآآآآآآآآه ! »

لكنه [illegible]

— « ما أسعار الدواجن عندكم ؟ »

الأمر الذي وجدته غريبا مع من فرصة ستعرف
لكني عرفت هؤلاء الشيوخ جيدا .. يتكلمون عن الفقر
والموت كلمات يتكلمون عن ديرتي (الأم) .. هدفه
معهم موحدة في النجدة .. ويشكل ... الجهة

قلت له وأنا أبتسم برضى

— « ... غرفة ... عندك سرير موجود وجاهز
لاستقبالي إن شاء الله .. »

— « غير مأمونة .. »

ووضع العشاء في الطبق بعصبية .. وعاد يكرر

— « غير مأمونة .. أنا أعرف هذا و ...
عند لنفسي ... لا تستطيع أن تقتحمه ... ما هي
مهنتك ؟ »

— « طب .. طبيب . »

— « قلت من أين ؟ »

— « (...) .. قريبة جدا من (القدس) . »

— « ... كنت في الكلية وبرفقة لعظام الآدمية
من أين تعتقد أنهم جاءوك بها ؟ طبعا من قبرك
المزيف .. هؤلاء الملحدون لصوص مقابر بالفطرة ،
ولا يرعون حرمة شيء .. ف... ولتني رحمها الله
ثم اكتشفت أن هناك من عبث بعظامها .. تصور هذا ؟
حتى في القبر هناك من ينبش جيوبك ليسرقها .. »

لكن الآن .. صار عصبيا جدا .. عصبيا بحق ،
وراح اللعاب يتطاير من فمه على ثيابي .. لو أنك
كنت تقف قريبا تحس أنك أنت المقصود بكل هذا
الصراخ والغضب .. موقف سخيف لكنه لا يستحق
الشرح ..

ألم أقل لكم أن تكون ... ؟

* * *

٣ ـ الرقصة والكهل ..

[illegible] لقد مررت بهذا الموقف مرار [illegible] لا يعدون [illegible] مرحلة جديدة في حياتهم ..

في النهاية [illegible] راغب في الانصراف الآن ..

قال في عدم تصديق ،

ـ « [illegible] قال صبري كما تعلم .. »

ـ « هذه الأشياء لا تنطبق علي »

قال [illegible] وهو [illegible] الآخر :

ـ « [illegible] هناك أشياء غريبة تحتاج إلى ربك فيها .. »

ـ « مثل ... »

ـ « فقط صدقني .. هذا رجاء .. »

ـ « ولكن ... »

ـ « مهندس (فاروق) !! »

[illegible] إلى مكان آخر(*) .

(*) [illegible]

هنا رأيت أن الناس يلتفون حول الشكل الذي
تحول إلى مسرح لدمية الجسوس هذه .. تحت
راقصين من تلك الفتيات الرشيقات تحمل كل منهما
طرف بساط كبير ملفوف حول نفسه

ما معنى هذا ؟ هل مات أحد ؟

سحبت الراقصتين جانب بحركة مدروسة ، بعد أن
وضعا البساط على الأرض ، دار البساط حول نفسه
وسرعان ما خرجت منه فتاة .. مثلما يفعلون في
حفلات المفاجآت في الغرب حين تخرج من التورتة
راقصة أو مثل بعض الكلاشيكوف في أفلام العصابات
يبدو أن الأخ (عيسى) أعد هذا أيضا

بدأت الفتاة ترقص يمينا ويسارا بحركات رشيقة
غريبة تذكرك بالباليه أو الجمباز الإيقاعي

هل أقول إنها كانت أروع من رأيت في حياتي ؟
لقد صار هذا مملاً .. أعترف أنني أهذي وأن في هذا
الحفل يضم أجمل مجموعة من الفتيات وقعت عليهن
عيني في حياتي ..

و .. دققت النظر أكثر لأرى أنها ليست جميلة على
الإطلاق .. لكنها ساحرة .. رشاقة وخفة حركتها
والشخصية القوية المطلة من عينيها تعطي إيحاء
بالجمال دون أن تكون كذلك

حتى الرقصة وكالعادة حرصت ألا أتابعها لكن
شيئا ما وقع في نفسي .. لقد تسرب سحر الساحرة
بهدوء .. سحرها في روحي فشعرت كأنني مراهق في
الرابعة عشر من عمره ..

لا أدري لماذا .. لا أحب سماع الموسيقى بالتدريج
ولكن مرة واحدة ..

ومن مكان ما سمعت د. (سامي) يصيح:

ـ د. (عيسى) إنها تودعك .. أقسم بالله لو رأيتك ..

ورأيت الراقصة تنحني على قدميها الدقيقتين وهي
تتمايل مازنة من على المسرح المرتجل .. وسمعت
تصفيق أكثر حرارة من المعتاد

كان صاحب المصيف واحداً من هؤلاء الكهول
الذين لم يتخلصوا من مراهقتهم بعد .. ولا أتكلم عن
نفسي طبعاً .. كان رجلاً مثقفاً .. صحفياً غريب فيه
مهابة وشرود شخصية غير [illegible] .. أما أنه [illegible]
أو هو مصري أبيض البشرة أزرق العينين .. [illegible]
[illegible] تهرع به لتجلس جواره .. [illegible] يضحكن
بعد [illegible] على [illegible]
قال واحد جوارى لصاحبه :

— « الخوجه (باولو) قد وقع في الحب .. هذا
واضح ! »

— « لو عرفت [illegible] . »

— « أعتقد أنه يعرف .. [illegible]
ليست هنا .. »

باولو ؟ أين هذا الأحمق [illegible]
كان يسمعه بحماس ويحكي لهم عن [illegible]
[illegible] هي اللغة التي يستعملها [illegible]

من الأجانب في مصر على كل حال .. أكثرهم يتكلم
العربية بطلاقة .. وقد قابلت من هؤلاء الكثير في
المنصورة في صباي ..

من جديد [illegible] وهو [illegible]
المصيف الذي [illegible] من [illegible]
فجذبته من كمه وأشرت إلى الجالسين

— « من هذا الزمن هذه ؟ »

نظر إلى حيث أشرت بعينين لا [illegible] .. قال وهو
يجذب كمه :

— « علمي علمك . »

— « [illegible] »

— « لست أعرف هذه [illegible] »

[illegible]

— « لن لا ألقى إلا من لا أريد .. »

- « ما تعنى مستقلا ، وما داموا شخص رقيق مهذب في نظرة لحد [illegible] فهم على شيء من الخبث وغرابة الأطوار لكن هذا ليس سببا كافيا كي [illegible] »

ثم هتف وهو ينسل من يدي :

- « أستاذ (نيازي) !! »

لن أظفر من هذا الرجل بشيء هذه المرة ، فهو في عيونه سمة على ما يبدو ، ومن قومه [illegible] لا أتصور أن أجد مفتشي في هذا الكابوس والكون مسؤولا عنه [illegible] لو فعلت هذا سأنسل في الحمام لأصاب بنوبة قلبية وأموت

اتجهت إلى المائدة التي رصت عليها أصناف لا أعرف إن كانت تؤكل أم تستخدم كأجهزة تجويفية وأنني وقف جوارها شاب يرتدي سترة رجوليه ، يبتسم بتكلف مصطنع [illegible] وقد وضع يده اليسرى خلف ظهره ليوحي بأن الخدمة ممتازة [illegible] ابتسمت له في سماجة ورحت أرص بعض الأشياء في طبقي

شعرت بالبهو والنور ينقطع من بصري فنظرت لأرى جدارا أسمر من لحم وعضلات

لفتى أنيق [illegible] هذا حق ، لكن قامته الفارعة المفرعة جعلتك تنسى [illegible] وكان يقف جوار امرأة في منتصف العمر بادية السيطرة [illegible] على قدر من الجمال ، وقد بدا أنه يتهيأ مناقشة ساخنة بحق [illegible] كأنها تحاول إقناعه بشيء ، وهو يمط في ضجر

- « يا حبيبي أنت لا ينقصك شيء [illegible] الأمور مستقرة وكل شيء على ما يرام .. »

- « هذا ما تقولين أنت ! »

- « يمكنك أن تفهم معهم [illegible] كل شيء يمكن أن [illegible] »

ضرب الأرض بقدمه في غيظ ، وهتف

- « أرأيت ؟ هذا هو كل ما يمكن لعمرو أن يظفر به من [illegible] في حين لا يحترم الناس من يخالفونه [illegible] »

قالت في حزم وهي تضغط على كلماتها

- « [illegible] لقد قلت كلمتي وعليك أن تطيع [illegible] زوجة أبيك هي بمثابة أمك [illegible] لقد انتهت هذه المناقشة »

في عصبيته [illegible] الضيق الذي [illegible] على
[illegible] ، وابتعد [illegible] ويبدو ان [illegible]
[illegible] جانبية [illegible] رجل
قصير القامة ومن حسن حظها انها [illegible]
وانها [illegible] ولا تهتم [illegible]

[illegible] المرأة [illegible] والشاب [illegible]
[illegible]
عيونه فلقت بوضوح [illegible]

حتى تملأ [illegible] في عصبيته وهي تقول
[illegible] نفسها :

— انه شاب [illegible]
صار [illegible] في [illegible] ويبدو انه [illegible]
هي الاساس الوحيد [illegible] مع
الشباب يكون [illegible]

ابتسمت وقالت مجاملة :

— [illegible] لا ارى انك تبتعد عن الشباب كثير .

[illegible] وحمر خداه قليلا

— [illegible] الحقيقة [illegible]
[illegible]
[illegible] كثيرين [illegible] الشباب وانني لاجد
[illegible] الرجل [illegible]
انهم يعتقدون ان المرأة [illegible]
لجاربهم هذا الاعتقاد ..

[illegible] في [illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] الشخص يجعله من الرجال [illegible]
[illegible] الشخص [illegible]
[illegible] عن [illegible] بانه رجل

ثم مدت يدها الى مصافحة :

— [illegible] (سوى الصبح) [illegible] الشاب [illegible]
فهو (اكرم) ابن [illegible] .

كانت قبضته قوية كما حاول [illegible] [illegible]
جاهداً أن أتماسك [illegible] وقت في كلمته

— د. (رفعت إسماعيل) ..

— [illegible] أنت مجنون يا دكتور [illegible] ، [illegible] تقدر
هذا في الرجل ..

ابتعدت [illegible] مع مستوى [illegible] [illegible]
[illegible] ثم [illegible] و [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الأمريكية المعروفة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] بمشاكل [illegible]
[illegible] [illegible] عن هذه المشاكل [illegible]
[illegible] [illegible] من هؤلاء [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] ولا يمكن أن [illegible]
[illegible] [illegible] وضع [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] قليلاً ومن ثم [illegible] [illegible]

لكني لا أنكر أن [illegible] [illegible] ، وقد
[illegible] [illegible] يحب [illegible] هذه الأشياء

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible])
[illegible] [illegible] [illegible] الراقصة [illegible] على
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] لا يمكن أن [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] القصة [illegible] [illegible] يبحث عن
[illegible] [illegible] [illegible] من مال [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] أنه ليس أنا ..

يبدو أنه أنا !!

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الطاعون [illegible] [illegible] ..

ضحكت قليلا وقالت :

- « [illegible] ؟ [illegible] غريب

[illegible] الصغير [illegible]

- « بل ما هو [illegible] .. »

- « [illegible] ؟ »

- « لا [illegible] »

كانت [illegible] لم [illegible] عن [illegible]
سألت عن [illegible]

- « ولم تدعوني للجلوس ؟ »

- « [illegible] »

[illegible]

[illegible] يجلبون [illegible]

[illegible] الشيب في [illegible]



بيدي قداحته من طرف لفافة تبغها .. فتبعث تحتي
كتفي وهمسة بابتسامة شاكرة .. ثم قالت لي :

- « أنت متضايق من وجودي .. أليس كذلك ؟ »

ثم عني وواصلت .. لكن محاولاتي لاستعادة متعتي
الأولى .. لكن هيهات .. لا أحد ... هناك من
برفقة بهذا الفضول ..

- « لك الحق .. لا بد أنك سمعت ما يقال عني
هناك من يعتقدون أنني هذه ... لكن المرأة
مضطرة لهذا لتحمي نفسها .. ... أليس
كذلك ؟ »

- « نعم .. لا أفهم .. »

- « المرأة لا تملك عضلات ولا تجيد استعمال
السلاح .. المرأة لا تستطيع السيطرة على
الأعصاب) .. تملك المرأة سلاحا واحدا ...
هو ... هو جمالها .. وأن تستعمل هذا السلاح

لأحمي من أحبهم وأخاف عليهم .. وهذا ما (بابلو)
يستطيع أن يؤذيني ويؤذي أحبائي بشدة لو أراد
... لا يستطيع أن ... إنه لأن
... بكل مرة بالضبط .. وهو يلاقي
... الأقربين من زوجته ومن أهله .. لكن ...
... فلا شك ... »

شعرت برعب من هذه ... لماذا تطلب
مني هذه المرأة أن أفهم موقفها ؟ أنا لست حكما
... ولا زوجها ولا ابنها .. ثم لماذا
تصارحني بهذه الأسرار من أول مرة تراني فيها ؟

... يوشك أن يتحول إلى
... من دون شك

مر ... يحمل بعض الكؤوس التي تحوي عصير
البرتقال .. ... على الأرض
وجنب كرسي ... وواحد من

شممت الكأس بحصة ثم سألته

ـ « عصير برتقال ... هل لديكم شيء أقوى ؟ عصير ... لديكم (حملت) ؟ »

صب ... العشي في عب ...

ـ ... حملت ، "

... ضربت ... وضحكت في ...

ـ ... عجالى ... المشروب ...

... مثل ... مشتهى بها ...

وقبل ... على ... الدكتور ... يهرول

نحوي ووجهه ... ولكن ...

يتبعه وفي حالة ... القصر

هذه أشياء تحدث

الو عندكم ... تكون ... ممنة "

* * *

٤ ـ فنحتفظ بالهدوء ..

من على ... وهمس

ـ « ... الحرج »

و ... ووجهه ... كأنت ، وضحك ضحكة ...

... معه ... أترك ...

في ... الصغير »

... هو ... الى الخارج ...

... الى ... الى ... من

... في

... هذه ... القصر

و ... في خجل من

... لا ... رجل لا عرف

... الذي

...

أخيراً كان هناك تمثال جميل لـ (بومبي) سقط الضوء من سقف على وجهه ليبدو رهيباً .. وركع (سامي) على ركبته أسفل التمثال وهتف بي أن أنظر

حقاً كان هناك ما يستحق النظر .. كانت هناك جثة .. والجثة كانت لرجل غارق في الدماء

هكذا وجدت أن عملي (عمل) مبطّر، كما يقولون .. وأزحت الرجال جانباً بعصبية .. الطبيب الوحيد هنا .. وشعرت أنني أدركت أن الميت هو الإيطالي الذي كان في الحفل منذ دقائق .. في مكة .. قلت لهم

ـ « لقد مات .. »

ـ « أنت عبقري إذن .. »

هذا الرجل الذي كان يهز الأرض مهابة وقوة برغم سنه المتقدمة .. تحول بعد دقائق إلى خبر في صفحة الوفيات وربما الحوادث .. ترى أية عواطف كانت تختلج في قلبه وهو يعبر الحديقة ثملاً يلعب من

دون ظلال .. وهو لا يعرف أنه سيتحول بعد دقيقة إلى (غول) يخيفون به الأطفال ؟

كانت هناك جروح غائرة كثيرة في صدره وبطنه وواضح أنه طعن طعنات حتى الموت .. من فعل هذا وكيف ؟

كان د. (سامي) يضرب كفاً بكف وهو يوشك على الهروب

ـ « لقد انتهى أمري .. جريمة قتل في بيتي ؟ في حديقتي ؟ »

سأله (رمزي) في هدوء من يداه في الماء البارد

ـ « هل تعرفه ؟ »

ـ « بالطبع لا .. لا أدري من أين أتت هذه الوجوه .. »

قلت لهم :

ـ « اسمه (بوبو) .. وهو غير عربي .. ربما كان إيطالياً .. »

عاد (رمزي) يسأل

ـ « وهل تعرف من فعل هذا ؟ »

قال [illegible] لا [illegible]

ـ « [illegible] المشهد من بعيد [illegible] يمشي وحده

في [illegible] الممال ،

[illegible] من الرجال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] »

ـ « كارثة ! [illegible] »

[illegible]

[illegible]

قلت له في شيء من الحزم :

ـ « لا [illegible] »

ـ « [illegible] من [illegible] »



نهضت ولم أتأمل الجثة الغارقة في الدماء الممددة على الأرض في الظلام .. هذه جريمة غريبة تنم عن حقد بالغ .. كانت طعنة ضعيفة وحادة .. بيد أنه يكفيه أن يقتله .. فهذا كان كفيلًا بتعذيبه على قلبه ..

هنا قال د. (سامي) .. آخر شيء تصورته .. وجذب ذراعي وقال بلهجة من يدعوك للعقل:

ـ « سنبلغ الشرطة .. لكني لا أرى أن نفسد الحفل بهذه السرعة .. لقد تعبت أنا و(ثريا) كثيرًا في الإعداد له، ولا أريد أن ينتهي الحفل بحضور المخبرين والمحققين ورجال النيابة يسألون كل واحد من ضيوفي عن علاقته بالمتوفى .. سننتظر حتى منتصف الليل ويبدأ العام الجديد .. كم ساعتك الآن ؟ »

نظرت لساعتي وغمغمت في عدم رضا:

ـ « العاشرة والنصف .. لكن .. »

ـ « ساعة ونصف لا أكثر .. فقط ساعة ونصف .. دع هؤلاء الضيوف يمرحوا ويستمتعوا بوقتهم، ثم نطلب الشرطة في الثانية عشرة .. دعنا نفترض أننا لم نر الجثة الآن .. »

أطرق د. (رمزي) في تفكير:

ـ « حقًا لا أرى ما يمنع من .. »

صعد الدم إلى رأسي فصحت في غيظ:

ـ « هل جننتم ؟ أتتركون القتيل يبرد في هذا الوقت، وربما جعل البرد تحديد وقت الوفاة مستحيلًا .. على كل من يجد جثة أن يبلغ الشرطة حالًا .. هذا هو مفهومي عن المواطن الصالح .. »

قال أحد الرجلين الآخرين:

ـ « لو فكرت في الأمر لن تغضب يا دكتور (رفعت) .. لوجدت أن د. (سامي) لا يطلب شيئًا صعبًا أو مستحيلًا .. إنه يريد أن يطيل لحظات سعادة ضيوفه لا أكثر .. »

ـ « دعهم يصابوا بالذعر .. دعهم يموتوا خوفًا .. لقد مرحوا بما يكفي .. »

قال الرجل الآخر:

ويمكن من هذه [illegible]

[illegible]

الجثة وساعة الجريمة .. »

[illegible] في موضوع [illegible]

هنا قال لي د. (رمزي) موبخا :

[illegible]

[illegible] هؤلاء [illegible]

[illegible]

ضيوفك .. »

[illegible]

[illegible] كتب عشاق [illegible]

[illegible]

[illegible] موضوع [illegible]

ثم [illegible] وقال في [illegible]

[illegible]
إنه يفهم في هذه الأمور .

[illegible] ووضع [illegible] ملاءة كانت هناك على وجهه

وهكذا [illegible]

قتل بشعة حدثت على بعد خطوات منه .. لقد كف
د. إسماعيل عن أن يكون مرحاً .. وبدأ شروده الذهني
متوتراً ، وكذا كان د. (رمزي) الذي جلس جوار
زوجته على الأريكة ، وراح يعبث في طبقه من
طعام شارد الذهن ..

أين (كاتي) ؟ ماذا عن عواقب ما حدث للرجل
الذي تعود له تمتعه ومداعبته ؟

ترى هل بها دور في موته ؟ من الواضح أنها لم
تكن لديها حجة للغياب .. ما يجعلها الفرصة
باسم الله .. لكن من فعل ذلك يجب ألا يهمه ؟

* * *

- المرأة لا تملك عضلات ولا تجيد استعمال
السلاح .. المرأة لا تستطيع السيطرة على (الأبضاي)
لهذا تملك المرأة سلاحاً واحداً فتاكاً هو …
هو جمالها .. وأن تستعمل هذا السلاح لتحصل من
محبيها وتخدع عيونهم .. وهذا ما (باولو) يستطيع

أن يؤنبني ويؤذي حياتي بشدة لو أراد .. لهذا جعلته
لا يستطيع .. يستعصى على .. إنه لأن .. هل أشار في
بعض كم مرة بتصنيط .. وهو يلاقي بهذا الأمر بين
من زوجته ومن أهله .. لكن خمر الحب قد أسكره
فلا فكاك له .. .

* * *

كلامها لا يوحي بأنها يمكن أن تقتله .. لقد
انحرف به مصير … هو دور العجوز الأبله
المغبون بصبية من عمر بناته .. الآن من قتلها ؟
هذا الحقل غريب حقاً ..

وبحثت عنها فوجدتها قد عثرت على صيد جديد
هذه المرة .. لا تضيع وقتها أبداً .. لكن الفريسة هذه
المرة كان شاباً وسيماً قوي البنية مظهر عسكري
صريح .. وكان … ملامح مصرية
وكان يجلس في كبرياء ووقار .. ويتبادل معها الكلام
بينما هي تضحك .. سرجع .. تقصص عينيها

[illegible]
وقلت لنفسي إن تجمل هيبة ... بلاعبث من
دقائق يكفي ... ولا ... بشاب قوي
يمكنه أن يهشم عنقه بيد واحدة ...
باسمه ...

وليس من موضوع ... الأجنبي ؟ هل هذا الشاب هو
الآخر ضمن من يمكن أن يؤخذ ... [illegible]
... ؟ ... كل ... ؟ ...

هل يكفي ذلك ... الذي ... [illegible]
... قال لصاحبه

- « هل هي ... يدفع ... في جبهته »

- « ومن الواضح أنه وقع مثل ... »

... وهو يشير إلى ...

- « هل ترى ما أراه ؟ »

على ... وقف شاب ... - هو الآخر -
... عصبي لا يوحي بأنه قط ... كان
يلمع ... في جيب سترته السوداء ... ويرمق
المشهد وقد ... على وجهه ... ثم
استقرت عند الأحمر ..

قال الثرثار :

- « هذا ... زوجة ... ، إنه (...
كورليوني) لقد وقع (...) في شر أعماله
... لا يمزح ... إنه من أسرة عريقة
أرستقراطية ولن يسمح بهذه الإهانة لأخته »

- « ربما يطلق الرصاص عليه »

- « لا ... بهذه السهولة ... على
أنه سيستشيرها أولاً »

كنت أنا ... في عنقي - أضرب كفاً بكف ...
وظللت ... زوجته ...
... هذه ... ؟ ... في ... واحد وفي
ساعة واحدة ؟

وبه .. الفرير يلعب في عيني) إلى سمحتم لي بالتعبير

هذه دعابة .. د. (مسعى) يقدم لنا أغرب فقرة ترفيه يمكن أن يحضرها بطل بعد ، أو ربما هي لعبة يلعبها بنا .. أنه يقيس استجاباتنا .. يقولون إن الطبيب النفسي هو الذي لا تحلت الممكن هذه حسام استدار يرمق الجالسين من حوله .. عن الطبيب النفسي كالضمير يراقب حججنا وانفعالاتنا .. ربما هو يعد دراسة اسمها (الاستجابات العصبية لمجموعة غير متجانسة تجاه المشاكل العاطفية والأسرية للآخرين) .. لم لا ؟

ألم علكم أن تكون أسطورة مثله ؟

* * *

٥ - مشكلة قانونية ولعبة سحرية ..

بحثت عن د. (مسعى) لأخبره أنني ببساطة قد فهمت دعابته .. وحيث شق طريقه بين زحام المحتفلين ذوي الطراطير الذين انغمسوا في الطعام والشراب .. وعلى المسرح المرتجل ظهرت مطربة نحيلة سمراء ابتسمت في رقة ، وبدأت الفرقة المكونة من عازفين تعزف تلك الموسيقى العربية المهيلة ..

* وأعصرناه على صعب به سنار ملابه
* لو كان لي في الزهور .. كان صوار الأ ..
* لما عرفت شرى البحر .. بحر ..

ما هذا الكلام ؟؟

لا بأس باللحن وبصوتها على الإطلاق .. لكن هذه الكلمات ؟ إنها لا تمت لمفهوم كلمات الأغنية كما عرفتها ..

وعامة هو ، بمناسبة هذا الحفل ... لكن يبدو أنه
رأيته في إحدى الصيدليات يصف مرهمة لوجعة ،
ونهض رجل أسمر فرع العامة سوداء كأنه يستمع
لإحدى أغنيات (أم كلثوم)

والعديد من مواصلي الغناء بصوته الساحر ... يبدو أن
عباس هو كاتب الكلمات أيضا

كنت أبحث عن [illegible] (حسن [illegible]) [illegible]
صبيحة [illegible] كانت هذه مدام (ثريا) زوجة [illegible]
جلست على أريكة واسعة جوار سيدة عجوز وشاب
[illegible] من طراز [illegible] وكل هنا
[illegible] القصير [illegible] مسرور من نفسه من طراز ذي
[illegible] حتى [illegible] عينيه [illegible]
محفوظات في [illegible]

قلت بعد أن قدمتني لهم :

ـ «مدام (نجوى كاظم) وابنها (شريف) ... وطبعا
هذا الأستاذ (بدر الصواف) المحامي المعروف»

طبعا لم أكن قد سمعت حرفا عن الأستاذ (بدر الصواف)
المحامي المعروف ... لكني تظاهرت بأنني مذهول
[illegible] كثيرا بعد أن [illegible] سمعته

ـ «اجلس ...»

فجلست أتحسس البنطلون ... لا أدري لماذا بدأت
أشعر [illegible]

قالت لي مدام (ثريا) :

ـ «تصور ... إن مدام (نجوى) وابنها يواجهون
[illegible] من جيرانهم ... والأغرب أن هؤلاء
الجيران ليسوا أصحاب العقار أصلا ... وإنما هم
[illegible] يطالبون بحقوق
[illegible] وأكثر منها ... إنهم يشكون من أن صوت
[illegible] في [illegible] (كاظم) عال ويضايقهم»

بصوت أرستقراطي ناعم قالت مدام (نجوى) :

ـ «لم أر وقاحة أكثر من هذه في حياتي كلها!»

سألتها غير مصدق :

ـ « طبعاً لم تتخلصي من الثلاجة ؟ »

ـ « طبعاً لا .. ولو تخلصت منها لبحثوا عن الكلام عن صوت قطرات الماء من صنبور الحمام .. إنهم لا يشبعون »

علقت مدام (ثروت) تحكي لي القصة الغريبة

ـ « كانت هذه هي البداية لقصة طويلة من التحرش لقد حاولت مدام (مجدي) وزوجها تفادي الصدام لكن هؤلاء البلطجية كانوا وقحين ولحسهم العراك بالأمر .. المشادات الكلامية تحولت إلى تراشق بالأيدي وحصار في الحمام .. ثم جاء اليوم الذي وجدوا فيه الزوج رحمه الله ملقى في الشارع ويبدو أنه مقتول .. لم يكن لدى الشرطة إلا أن تتهم جيرانه لأنه لا أعداء لها .. وبالطبع فشلت الشرطة في إثبات التهمة وقيدت الحادثة ضد مجهول . »

كانت مستمتعة جداً وهي تحكي لي هذه القصة المرعبة .. كأنها هي (مجدي) والجيران والمحامي معاً .. فلم تترك لأحدهم فرصة للكلام أو التعليق

ـ « الفكرة هنا أن (شريف) مصمم هو ووالدته على الاستسلام لأبيه .. يقول إنه سيبيد هؤلاء البلطجية الوحوش .. ولن يحتاج لإقناعه بأن القانون لن يكون في صفه . »

نظرت إلى الشاب فوجدت أنه فخور بالفعل على نحو ما .. لكن الأمور ليست بهذه البساطة

وقال الأستاذ (بدر) : لا داعي لقوله لأنه بديهي

ـ « لا يمكن أن يأخذ كل إنسان حقه بالقوة .. القانون هو الوسيلة الوحيدة . »

ابتسمت السيدة العجوز في مرارة وقالت :

ـ « نحن نجرب القانون من زمن وهو لم ينصفنا قط .. ثم كيف نبرهن بالقانون على ما عجزت الشرطة عن إثباته ؟ إن قاتل زوجي طليق يمرح ويعبث بالمزيد »

قال المحامي :

- « صبراً ... هناك حروب قانونية كثيرة ... فقط لو أنك تجيب ما تنبئك من أوراق إلى مكتبي ... المسروقة » .

يتكلم وهو يفتش في جيبه بحثاً عن بطاقته ... في النهاية وجد واحدة فدفعها إليه وهو يبتسم ابتسامة ...

قالت مدام (ثريا) باسمة :

- « تصبحني الوحيدة لك يا (شريف) ... لا يجب ... المشاكل ... أعرف أنك خير الناس ... يجب العقل فوق كل شيء » .

كنت ... أشعر بغصة ... في ... حتى لا أوشك على البكاء ... كل هذا لا أفعل ... خاصة مع وجود جثة في الحديقة ... لا يمكنني ... وسمعت مدام (ثريا) تسألني بطريقتها ...

« ولكن ... لم تسمع رأيك يا دكتور (رفعت) ؟ »

* * *

(عزمي) ... جلست مع المهندس الذي يصمم به ... الذي سيحميه من اللصوص ... سيحصد ... كل ... وكذا ، اللعوب جالسة تتسلى مع الأبطال (سريو) الذي ... سحرها ... الشعر ... (مراد ...) يقف ... من الشرفة ومن حين لآخر يخرج قصاصة ورق ... سوى ... لا يكف عن ... مع ... الغضب ... (الكرم) ... ومدام ... تجري ... مع ... (شريف) ... لأبيه

يمكن القول إنني صرت أعرف جيداً ... الموجودين في هذا الحفل ... مهتماً بتفاصيل حياتهم على الإطلاق لكنهم ... مشاكلهم بحيث لا ... إلى تتابعها

على المسرح المرتجل وقف أحد الحواة ... كان رجلاً يلبس الأسود ، ويضع مساحيق كثيفة على وجهه حتى يتكرر بمهرجي السيرك ... ويرعم ...

يصعد إليه يثير الإعجاب .. ولكن هذه فرصتنا الوحيدة للاستمتاع بمرجعيته .. وقد تفرج كثيرا جدا من قبل على المناديل وكرات البيض تخرج من كمه وقبعته وطاقيته كله .. وراح يؤدي كل هذا بسرعة ليوحي بالاحتراف ، لكن بصراحة لم نفهم شيئا من فرط سرعته الآن .

وتقدمت فتاتان من الراقصات بوجها تحملان صندوقا لونه مزخرف ووضعتاه على الأرض أمامه

قال في صوت يثير الاشمئزاز كأنه ضفدع أعرج

- « الآن أنا بحاجة إلى واحد من المشاهدين الشجعان كي ينام في هذا الصندوق .. »

تقدم أحد المتطوعين ، ونظر لنا ضاحكا ، ثم وثب إلى الصندوق وفرد جسده .. لكن الصندوق لم يتسع لطوله قط .. هز الساحر رأسه في لطف

- « لا .. نحتاج إلى متطوع شجاع آخر .. »

يبدو بوضوح هذا الرجل شريرا .. ونكرر التعبير العربي (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)

سبحان الله .. هذا هو بالضبط ما يعبر عن عيني هذا الرجل .. لقد لمحت تحولاته من وقت لآخر خلف ابتسامته المداهنة . لندرك أنه شرير حقا

تقدم متطوع آخر وجرب النوم في الصندوق .. لا .. الحجم غير مناسب

أشار الساحر إلى رجل يجلس مع زوجته وطفلهما الرضيع ، ودعاه في لطف إلى أن يجرب

في برود نهض الرجل وهو يزرر أزرار سترته

- « نريد أن نسمع أعلى تصفيق لهذا المتطوع الشجاع !! »

دوى التصفيق بينما تمدد المتطوع الشجاع برفق في الصندوق .. كان الحجم مناسبا تماما .. من ثم أغلق الساحر الصندوق وهو يدعو إلى التريث ، وابتسم ابتسامة مشجعة للرجل الممدد بداخله

جاءت الفتيات بغطاء سميك من الكتان غطى به الساحر الصندوق .. طبعا .. لابد من هذا وحين يرفع

لحظة يجد الصندوق قد تحطم .. هذه هي التجربة
ولكن كيف ؟ اعرف انهم في المسرح يستعملون جبًا
تحت المسرح يرتبط اليه الصندوق .. ولكن هل هناك
جب تحت فيلا الدكتور (سامي) ؟

— مصطفى حاول السحر [illegible] .. ا و ي ي ي ي ا .

يمط النغمة الأخيرة كما يفعل مطربو الشرق حين
يستجدون المزيد من التصفيق .. وتعلو الموسيقى بينما
الساحر يرى الغطاء يجد أن الصندوق محطم بالفعل

ومن دون كلام كثير تحس الرجل وقد تسمرت بعيون
الجمهور في رشفة .. ثم هرع يبحث وراء
الكواليس التي هي عبارة عن ممر على جانبي
الردهة المفضية الى باب الخروج

— « ستخرب بيتك يا رجل .. لو فعلت .. »

كانت هذه طبعًا من الدكتور (سامي) الذي هرعه سحر
بيته للرقص إلى منزله .. ومرة الى خيمة إحدى الطرق
للمولد الأحمدي .. [illegible] طبعًا من سحر الحصة في منفى

بدأ الجميع يتهامسون وعادوا يصفقون .. لكن
تصاعف .. بعد ثم يرجع الساحر الزوج .. و [illegible]
[illegible] ؟ الزوجة [illegible] الشيء دائمًا

تهمس وصاحت بصوتها الرفيع

— « ولكن ... أين زوجي ؟ »

لكن لا أحد يهمه بعد تصفيق الجمهور .. [illegible]
الجمهور .. كتمثال أنثى بعرض عينيه [illegible] لها السف
لسان لكن لا عقل لها ..

— « أين مصطفى ؟ أين زوجي »

كان لها وجه أسمر كالطمي [illegible] بالعين وقبة
قدر هائل من حب الأمومة .. وعلى هذا الوجه
الحساس ستتبع العواطف .. التعجب وعدم الفهم ثم
الحيرة ثم القلق ثم الجزع ثم التوحش الدامع
كأنها صورة كمبيوتر من التي يمد الشبه على مر سنين
مسخ صورة رجل يتحول إلى صورة نمر .. قاسية
جدًا هذه اللعبة مع أم ..

- أين (مصطفى) ؟ أين زوجي ؟ ..

وتنظر لي دامعة العينين فقلت لها

- بعد أن [illegible] هذه [illegible] لابد أنه حيث توارى الساحر .

وعدت أركض إلى هناك .. وحملتها على كتفها بينما عاد الناس إلى الصخب والمرح

على بعد أمتار وجدت د. (رمزي) واقفا مع وجيه ([illegible]) بكل نظرة حيرى شاردة كانت في عينيه وهو يتابع المشهد .. طبعا من حقه أن يفقد مرحه .. أن توجد جثة في حديقة الفيلا ؟

لكن بعصبية حسي أدركت أنه يفكر فيما هو أعمق وأخطر من هذا كله ..

ثم عادت إليه زوجته فعاد يثرثر مع زوجته .. وبدا لي كأنما نسي الأمر برمته ..

ألم أقل لكم أن تكون أسطورة ممتعة ؟

* * *

٦ - المواجهة ..

الآن يتأبط الإيطالي المخدوع أو المغبون - لا أدري بالضبط - ذراع الساحرة الصغيرة (كاتي) ويمضيان نحو المائدة التي رصت عليها أصناف المأكولات .. تبدو هي دلالا طفوليا كأنما لا تصبر أمام هذه المأكولات ..

تقول له بصوت راقص :

- « حلوى جميلة .. حلوى أخرى ! »

فيهمس لها بكلمات .. ويتناول طبقا ويضع لها بعض المأكولات فيه

ما معنى (حلوى) هذه ؟ [illegible] هذه المرأة تقول أشياء غريبة أكثر من اللازم

هنا قطع على أفكاري ظهور الأخ (فريدو كورليوني)

الذي هو شقيق زوجة ماريو نفسه [illegible] كان [illegible]
كالعادة ويطبع حرص على ألا يخرج [illegible] من جيبه
[illegible] ويطبع [illegible] الرعب والتوتر على المرأة ،
[illegible] الرجل [illegible] وجهه وقطب جبينه

قال (ماريو) بعربية [illegible] ليطلبه [illegible]
يتعلم [illegible] في الأفلام العربية

« ماريو ، أنت [illegible] »

[illegible] ماريو

« (اندريو) لا [illegible] معززة
مكرمة وتظفر بما تريد »

« [illegible] لا [illegible] على [illegible] يتحقق بها
[illegible] لا شك فيه [illegible] في
[illegible] الوطنية [illegible] بدلاً من [illegible]
[illegible] جلد [illegible] مع [illegible] و[illegible]
أنه [illegible] عليه [illegible]
عليه من قبل . »

[illegible] الساحرة بالرجل [illegible] وبدا أنها
خائفة بحق ..

قال (ماريو)

- « (اندريو) [illegible] شقيق زوجتي [illegible]
ولحترم [illegible] أسرتها . »

- « هذا واضح !! »

- « [illegible] ولا [illegible] في أن [illegible] لهذا
[illegible] .. دعني وشأني .. »

وضع (اندريو) [illegible] في خصره وقال

- « [illegible] (ماريو) [illegible]
لاشك أنه هو الآخر [illegible] في شراكه [illegible]
كل شيء بمجرد أن رأى عيني هذه المرأة [illegible] »

[illegible] كيف عرف
هذا الرجل أن [illegible] مات ؟ لا أحد يعرف [illegible]
[illegible] فهو [illegible] و[illegible]

كل الواقفون قد بدءوا يحتشدون حول المتعاركين كلامياً .. وقد ساد جو التوتر القاعة كلها

نزع (أندريه) سترته السوداء وتقدم نحو (ماريو) .. وقبل أن يفهم ما يحدث صفعه على خده

— « هذه دعوة للتحدي .. اترك هذه المصرية العجوز وواجهني كما يفعل الرجال .. هذا إن كنت تذكر كيف يتعارك الرجال .. »

نزع (ماريو) بدوره سترته وتقدم خطوة للأمام وقال في تهكم :

— « سأريك يا (أندريه) أنني أعرف كيف أقاتل كالرجال .. »

وكور كل من الرجلين قبضته وراح يتواثب كالثيران متأهبا لتوجيه اللكمة الأولى .. وكل الحضور ينظرون في شغف .. حتى وثب د. (صبحي) بينهما وصاح :

— « لو سمحتما .. هذه دوري وأنا سيدة الوضع .. لو لم تتفضلا بمغادرة المكان فسوف أبلغ الشرطة وأنا أعني ما أقول .. ! »

لم ينظر له أي من الرجلين .. لكنهما [illegible] المترس .. وتفحصا بنظرة وتحدٍ .. من ثم أصبح أنهما مستكملان من بداية خروج ذلك هذا الرجل الطيب .. وفي صمت مشى الاثنان نحو الباب

صرخت (كلثب) وهي تركض نحوهما

— « (ماريو) ! لا تشتبك معه .. أرجوك ! »

لكنه ابتسم لها في ثقة .. ومشى مع الآخر مغادرين المحل

ضرب كفاً بكف صاح د. (صبحي)

— « مستشفى الأمراض العقلية الذي أعمل فيه قد تتكشف في يوم [illegible] أن هؤلاء القوم لا يصلحون بالمرة على الإطلاق .. »

إن هو لا يمزح وليست هذه دعابة .. ليست بتورية إنه عصبي إلى درجة تجعلني أحجم عن سؤاله

قلت له في ثقة :

- « هؤلاء الإيطاليون يعملون جميعا مع المهرب لو أنك صدقت [illegible] الأمريكية … تعرف هذا الهراء عن [illegible] … الأسرة ويجب أن تنام في قاع المحيط مع الأسماك … الخ »

[illegible] في ضيق ونظر إلى الساعة … كانت [illegible] الساعة الحادية عشرة … يبدو أنه [illegible] أن تنتهي هذه الليلة مثلي ..

[illegible] فقط [illegible] الزوجة [illegible] من أحد أبوابها [illegible] على كتفها [illegible] على الجالسين كأنها تسأل

- « هل [illegible] زوجي ؟ هل رأى أحد مصطفى ؟ »

طبعا لا أحد .. الأمر خطير إذن ..

قلت لـ / د. (مصطفى) في ضيق :

- « الأمر خرج من نطاق [illegible] يجب أن تبلغ الشرطة حالا .. »

نظر لي بعض [illegible] ثم مشى - وكنت معه - إلى حجرة جانبية صغيرة يبدو أنها عبارة عن مكتب صغير له … [illegible] كي يسمع كل هذا [illegible] من [illegible] … وقال لي :

- « [illegible] »

كان هناك هاتف [illegible] على المكتب [illegible] وطلبت [illegible] من اللازم كي [illegible] أنه لا يوجد حرارة … وكان هذا [illegible] في السبعينات على كل حال

[illegible] نظرة [illegible] على [illegible]

- « يا للمصيبة ! »

وجفف العرق عن وجهه ، و [illegible] دون أن يقول لي حرفا ولهذا ..

[illegible]

* * *

رأيته يخرج إلى الحديقة الباردة. وكان المطر قد بدأ ينهمر منذرا بتحويلها إلى وحل. هذا ما كان يبغضه من أجل المزيد من البهجة.. إنه يمشي بين المعشب متجها إلى تلك الحجرة الصغيرة بين الشجيرات التي تصلح لبيت صغير الحجم أو كلب عملاق

وقف على الباب ووضع يده على رأسه، ولم أفهم ما هنالك، لأني كنت أراه من ظهره، وهو يقف على الباب المفتوح. وقد حمل كشافا صغيرا من النوع الذي يوضع في الجيب

دون تفكير تسحبت بقوة شديدة من خلفه (عمدا) إلى عتبة الدار أحاول معرفة حين لا يجب أن يكشفني

وعلى ضوء الكشاف الذي هو الضيق رأيت من فوق كتفه ما رآه،

كان الفراش خاليا..

جثة العجوز فيفتلي (باولو) لم تعد هناك

شعر بوقوفي خلفه فقال:

- « لقد رحل .. »

- « لاحظت ذلك.. ولا أجد تفسيرا.. »

- « ربما أفاق ونهض .. »

- « ينهض؟ بعد شيوع موته حين رأيناه.. كانت هناك طعنة في القلب ذاته.. لو كان حيا حين رأيناه فلا وجود للموت! أين ذهب إذن؟ »

- « إلى؟ »

- « لربما سرقه أحد.. أو خطفه.. فمن يدري إن هؤلاء الإيطاليين يتصرفون مع المافيا دائما.. هناك أحد منهم قتله، فلا نستبعد أنهم أخذوا جثته كي لا تراها الشرطة.. لاحظت أن هذا الفتى المدعو (أندريو) يعرف جيدا أن التحري ممكن.. فمن أخبره بذلك؟ »

لم يرد.. واستدار عائدا إلى الفيلا.. الغريب في الأمر هو أنه كف في الأوقات الأخيرة عن اعتباري

كانت حين ... إلى شرود ذهنه وبعده عن جملاء مستمعي كالجملة ... يتركني متى شاء ويقطع كلامي متى شاء

ثم سمعت صخبا وأنينا وضربات مكتومة قادمة من خارج سور الفيلا ..

نظرنا إلى مصدر الضربات فرأيت ... كلا الاطلقبي (ماريو) و(أمبريو) يتقاتلان كما لم يتقاتلا بعد من قبل ... كمصارعين لمنظر! حتى يغادر سور المدرسة رهف يكيلان اللكمات واللطمات بعضهم على الآخر المجنون سور الفيلا من الخارج ... وكان المطر قد بلل بين ثيابهم ويحيل شعريهما إلى عجين شعر

بوم .. طب .. بوم .. طراخ!

أحدهما يسقط فينقض عليه الآخر، لكن الأول يتلقاه بركلة في بطنه ... وهكذا!

قلت لـ/د. (سلمى) :

ـ « هل نخرج لنخلصهما ؟ »

ـ « فليذهب إلى حيث ألقت ... ما دام بعيدين عن داري فليفعلا ما يروق لهما حتى لو مزق أحدهما الآخر ... »

وجوار السور من الداخل رأيت شبحا رقيقا يتمسك بالقضبان الحديدية، ويراقب ما يحدث في لوعة ... شبح بلل المطر ثوب سهرته الخفيف تماما، لكنه لا يشعر بما يدور من حوله، بل إنه كان يشارك الرجلين بالتشنج ومن حين لآخر يرفع ساقه في صورة ركلة مستقلة ... لم يكن القتال بين اثنين في الواقع بل بين ثلاثة ... والثالث هو (كاتيا) تقاتل بالعواطف والانفعالات ..

ما سر كل هذا الحماس ؟

لموت منها وقلت لها في ...

ـ « سلمى ... لا يمكن أن يبقى هنا ... في الجو ... »

لم تشعر بي حتى اضطررت إلى أن أضرب كتفيها وأكرر ما قلت ... فاستدارت نحوي ... هل الذي يبلل وجهها هو المطر أم الدموع؟ قالت لي وهي ترتجف:

ـ « دعني من فضلك ... لن أتحمل أن يحدث له شيء! لقد حدث له كل هذا بسببي أنا ... بسببي »

كانت تهجيتها قطعة حتى انني ارتجعت لألحق
به / د. (سامي) وأنا أفكر .

القصة قصة حب إذن ، وليست مجرد وسيلة تحمي
بها الأنثى قضيتها نفسها من خصوم لا قبل لها بهم

ما معنى هذا ؟ هل كانت تخدع العجوز بينما هي
فعلا تحب هذا الـ (مريو) ؟ وما معنى كل ما قالته لي ؟

ثم هل الـ (المريو) ، جميل أن يدافع المرء عن
كرامته ... لكن ليس الى درجة ... وجه
لمجرد أنه يجلس في ... مع ... أخرى ... هناك
للوم أو التوبيخ أو حتى ... بالانفصال
لكن لم ... عن ... ع ... وح ...
لمجرد أنه متحمس

لا تفسير ... ترى الأمور سوءا

ألم ... أن تكون أسطورة ... ؟

* * *



الصديقة وتراقب ما يحدث في لوعة

٧ ـ اثنا عشر كأساً ..

الآن كانت مدام (ثريا) زوجة المصيف تجلس إلى جوار مدام (سهى) زوجة المضيف ، منسلية بشيء من تلك الأشياء التي تكسر بالأسنان وتوضع قشرتها في الأطباق ... تلك الأشياء التي صرت أعتبر أكلها بطولة ... فلا بد أن لهما تستمتعان بوقتهما حقاً . وكان الضجر جليا على وجه مدام (ثريا) فهي لم تتوقع أن يكون زوجها قادرا على إعداد حفل ملحقات بهذا الإمتاع والتشويق ... فقد فاجأ الجميع بمن فيهم هي نفسها ..

سألت الثانية عن زوجها ... فهزت يدها بمعنى أنها لا تعرف وقالت :

ـ « يعلم الله أنه شارد الذهن تماما ... يبدو أنه أصيب بكراهية المجتمعات منك ... »

قالت لها مدام (ثريا) مصححة

ـ « فوبيا المجتمعات ... لا تنسي يا حبيبتي أنك في بيت طبيب نفسي .. »

وانفجرت السيدتان ضاحكتين ... فابتعدت وأنا أشعر بكره على وشك حتى أحد

هل اصطدمت بالشاعر مرهف الحس أيضا ... ماذا كان اسمه ؟ (مراد نسيم) ... كان واقفا وحده ينظر إلى السماء التي رصعها أصحاب البيت بمعداتهم كي لا يصاب كل هؤلاء بالاكتئاب الرسوي عند خروجهم بعد منتصف الليل ... لاحظت بصفة المحقق الذي يلتسه بصفته الصوري ... وقلت لنفسي إنه مصاب على ما يبدو بأحد أمراض القلب الصماء ، ويدعي ملازمة (هرويت) ... أو يبدو كأحد المصابين بهذا المرض

كان يهمس بصوت مسموع :

« يا سيدي ...

قليل من الناس يفهم من أنت

لأني وحدي أعرف سرك ..

عرفتك في كتمان وصمت ..

وحين ذاع سري .. تنادوا باسمك

وكان علي أن أدفع الثمن ..

لأن أعداءك حولي كثير ..

ولأن قراري صعب .. »

ما زلت لا تجده موهوبا ، لكن هل يتكلم بالضبط ؟

رآني أقف جواره فانفرجت شفتاه الغليظتان ، وبدا الحزن في عينيه وقال :

- « هل راقت لك القصيدة ؟ »

كنت أدق بعصاي على الأرض وألتوي وأضرب كفي .. لكني اكتفيت بأن هززت رأسي في وقار .. هزة معناها قد يكون (رائعة) أو (استمر) أو (بوسعك أن تحطيب الفصل)

ثم ابتعد وهو ما زال يترنم بالمزيد مما يقول

شعرت بأن الربيع والهمس والندى والأنسام بقربي .. غادرت غير فاهم .. كانت زوجته الرقيقة ترمقه في مزيج من الحرج والضيق .. شعرت بالحرج حين تلاقت النظرتان .. هي فهمت أنني أتأمل زوجها بأكثر مما يبرره الموقف .. لابد أن خاطرا ما يجول بذهني ، وهي راغبة على ما يبدو في معرفة هذا الخاطر ..

قلت لها مداهنا :

- « زوجك شاعر مطبوع يا سيدتي »

ابتسمت في حرج ، وهزت عنقها الطويل وقالت :

- « هو شاعر بالتأكيد .. لكن من دون شعر »

ونظرت لي وابتسمت أكثر .. هنا لاحظت ما لم ألحظه من قبل .. غريب أنني لم أرها إلا من الجانب الأيمن أو من الخلف أو هي مغمضة عينيها .. الآن ألاحظ أن عينها اليسرى ميتة على ما يرام .. هناك سحابة بيضاء على القرنية .. يا للحسرة ! الآن أفهم مقولة أبيونا عن (الحلو ما يكملش)

منذ تحدثت اطالة النظر ، ولكن عرافتي الصريح
لرجل لا تعرفه قد أثار دهشتي

قلت لها :

- « بالعكس .. إن شعره يوحي بجو كوني غامض
ولم أسمع مثله من قبل .. »

قالت وهي تنظر نحوه

- « هذه هي المشكلة .. أنه لا يلقى إلا بالجديد في
كل شيء .. ثورة في ثورة في ثورة .. ولا أحد
يحتمل هذا كله .. إنه يكسب كل يوم الكثير من
الأعداء .. حتى أن الحياة على بيانير من الحيز
عدم معايشته أو إزعاجه بالركلات .. »

كان الآن يقف مع أمه ويثرثران .. ولكن مجرد
وجودها قد جعله يستعيد مرحه .. هذا رجل واقع
تماما تحت سيطرة الأم .. وعلاقته بالأنثى هي أن تكون
أما له .. حيث الزوجة التي لا تستطيع أن تكون أما
تجد نفسها بالطبع في حرج أو ورطة

لمحت في شرود :

- « المشكلة الأخرى هي أنه لا يستطيع شيء مما
يحدث حوله .. إن تكون مشكلاته تصبح وعند ..
يعيش .. حيث هو غارق في عمله الخاص الذي لن
نستطيع فهمه أبدا .. لكني أتظاهر بفهمه .. »

ثم أجد ما أقول فابتعدت عنها بعد ما هززت
رأسي في رفق ..

ولمحت ركن القاعة وقفة مجموعة من الشباب
يمرحون ويضحكون بصوت عال .. كانوا جميعا
متشابهين .. بشرتهم السمراء .. وقد منحتهم القدرة
من هؤلاء ؟ لاحظت أن سمرة البشرة أكثر من اللازم
هذه الليلة ولكنهم غريبو الأطوار

وقف شاب وسط المجموعة وقال لهم بصوت عال

- « إن حفل الليلة هذا مسابقة لمستحق الأحمقة
منكم من أتى من الصعيد .. ومنكم من أتى من وجه
بحري .. »

قال أحد الشباب ضاحكاً :

- « وأنت رجل (صا الحجر) بيبه »

كانت صا الحجر بلدة صغيرة في محافظة الغربية أقرب إلى قرية ، وكنت أعرفها طبعاً لكني لم أفهم معنى أنه رجل صا الحجر ، على كل حال فسرته بس على أنه من أعيان تلك البلدة ، وكان ذا هوية شخصية وسيطرة واضحتين كأنما هو زعيم المجموعة

قال بهم وهو يلوح بأصبعه مستدعياً أحد السقاة

- « حان وقت أن نحتفل بصاحب هذا المشروب ونتمنى أن نظل أصدقاء دائماً »

جاء الساقي فطلب منه الشاب أن يأتيهم بإبريق مليء بالعصير ومعه اثنا عشر كأساً ، وهو مطلب غريب لم أفهمه ، لم لا يأتي بالكؤوس مملوءة من البداية ؟

هكذا عاد الساقي بعد قليل حاملاً صينية تراصت عليها الكؤوس ، فمد كل واحد يده ، تركت أن هناك

كأساً ناقصة مما رأيت كل واحد من الشباب يحمل واحدة ما عدا هذا الشاب المسيطر

- « هاك خذ كأسي .. »

فتناولتها منهم وهو يحوله الكأس من يده ، مكن لتشمم عبير شاكراً ، تلفت حوله حتى وجد مطفأة تبغ من البرونز موضوعة على منضدة ، فأمسكها وتفحص قاعها ومد بها يده للساقي ضاحكاً

- « هاك ! إنها نظيفة .. »

واضعاً يده اليسرى خلف ظهره ليوحي بأن الخدمة خمس نجوم ، قال الساقي بطريقته اللبقة (الفندقية)

- « لا أرى من يدعو لهذا يا سيدي ، سأحضر لك كأساً حالاً و ... »

- « لا تتعب نفسك ، النموذجة واحدة هي »

ومتردداً صب به الساقي بعض العصير في الوعاء البرونزي المرتجل ، فرفعه إلى شفتيه ، وكذا فعل الباقون

- « في صحة صديقك الذهبية »

النهي للمشرب ... ثم ألقى بعد الغيبة كلمه على الأرض وصاح في ذهول .

« يا إلهي ! هو شرب في كأس من برونز هل فهمتم ؟ »

تبدلت القسمة المتطرفة في ذهول ... وتحركت في الأمر انحلال من مجرد شرب العصير في مطعام تيع

- « أنت تعتقد ذلك ... تبسم) !! »

هتف الفتى وهو يمسك كأسه بيديه وفي ذهول

- « الصمد لكم ... هذه ... نظل نتحسه عفواً .. »

- « يا إلهي ... هذه مجه بطفلتي لك كي تشرب في كأس من برونز ... ذلك معروف في قبل أن من يشرب في كأس من برونز سيكون هو صاحب الكلمة العليا ! »

- « أقسم أنني لم أقصد ذلك ... (يصيح المصري) لا يخدع رفاقه »

وهتف واحد آخر وهو يكور قبضته غضباً

- « كنت دائماً طموحاً ترغب في أن تكون لك الكلمة العليا ... ولكننا لن نلعب ألعاب الأطفال هذه »

ثم صمت ... (زمزمي) وقد شعر بجو التوتر العام منا من الفتى وهمس :

- « ماذا هناك ؟ مشاجرة أخرى ؟ »

- « يبدو ذلك .. »

- « يا إلهي (يتمتم) - على ما أعتقد - صار الكل تخبط في تفسير صبيونه ... هل نحن في حفل أم في (درب الفتوت) هنا ؟ »

فكر ... يبحث عن ... على الأيهودي شيء

- « إحدى عشرة كأساً والثانية عشرة من البرونز لهذا يتوون معاقبة الفتى الذي تجرأ وشرب في البرونز ... هؤلاء القوم مجانين ... »

لكني سمعت د. (زمري) يتنفس بصوت مسموع ثم همس بصوت كالفحيح :

ـ « إحدى عشرة كما ؟ هممممم ! »

في هذه اللحظة كانت المواجهة قد بلغت الذروة لقد وقف الشيخ في صلابة وأشار أحدهم إلى الباب

ـ « أنت مخادع يا (بسام) .. اخرج من هنا فلا أحد يرحب بك ، ولا نريد أن نرى وجهك ثانية .. »

قال آخر :

ـ « عد إلى (عصا الحجر) .. أو لو وددت رأيي ابتعد عنها أيضًا .. »

لم يجد الفتى المظلوم ـ أو هكذا أعتقد ـ مناصًا من الخروج كسيف القتال منكسر .. ضرب الشباك وتوارى عن النظر ثم اتجه صوب الباب .. كاد يصطدم بالمرأة السمراء التي تحمل طفلا والتي تبحث كالمجنونة عن زوجها

قال له بصوت لواه الدمع

ـ « سيدي .. لو قابلت (مصطفى) زوجي بالخارج ، فلا تنس أن تخبرني بذلك .. »

نظر لها في صمت ، ثم انحنى ولثم يدها في احترام وغادر المكان ...

ـ « قال إنه من (عصا الحجر) ؟ »

كان هذا صوت (زمري) الذي كان يتابع المشهد باهتمام ..

أشرت برأسي موافقا ، فهز رأسه وعاد لشرود ذهنه الذي يوترني .. لكن شيئا لم يحدث بعد هذا

ألم أعدكم أن تكون أسطورة مملة ؟

* * *

٨ - المزيد من الغرائب ..

منتصف الليل تقريباً!

يمكث نوري عليه ... ويرى من يقف على المسرح المرتجل ليصيح مع عقرب الثواني على الساعة الكبيرة الموجودة على السقف.

- « خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. »

ومعه تعالى صوت الموجودين يرددون وراءه ما يقول ... لا أدري ماذا يسعد المرء في كونه اقترب عاماً من النهاية ؟ لابد أن هؤلاء القوم يملكون الكثير من الأعوام إذن ..

- « اثنان .. واحد .... »

الآن يلامس عقرب الثواني الرقم اثنى عشر فتنطفئ الأنوار ... لكن ما يعقبها هو الظلام

تعزف الموسيقا لحناً لا أدري ما هو ... لكن ثقافة هؤلاء القوم عتيقة ... لابد أنه لحن (رأس السنة) للموسيقار الإنجليزي (سبنجيس) . وأنا لا أعرف لأنني (الصعيدي) الوحيد في هذا الحفل

المهم الآن أنه صار من حقي أن أشكر د. (سامي) وأعود إلى داري ... هل سيطلب الشرطة ؟ لا أدري القرار قراره لكن البلاغ سيكون أصعب من دون جثة

في الظلام شعرت بمن يجذبني إليه ... من ؟ لابد أنني سأجد نفسي في عين واحدة من الحسناوات .. وهي تكره أن يبدأ العام الجديد دون أن تكون جوارها .. يا لها من رومنسية !

لكن الجذبة كانت أقوى من اللازم .. وأخيراً أدركت أن هذه اليد القوية الحازمة هي يد د. (رمزي) الذي عرف مكاني في الظلام لا أدري كيف

قال في غيظ :

- « ماذا بك ؟ أتراك نمت بمجرد أن وجدت ظلاماً ؟ يا لك من أحمق ! »

- « لا أرى أنني فعلت كل ما يستوجب هذا السباب إنني ... »

- « انظر يا أحمق ! انظر إلى اليمين ! »

ونظرت إلى اليمين في اللحظة التي عاد فيها النور الساطع ليحرق شبكيات عيوننا ، وبصعوبة تمكنت من أن أفتح عيني ... قلت له وأنا أرمش بعيني :

- « ماذا ؟ هل هناك شبح ؟ »

- « تقريباً ... هل ترى هذا الفتى الذي كان مع ثروت (صبا الحجر) ؟ إن عينيه كانتا تتألقان في الظلام كعقارب ساعتك الفوسفورية ! »

قلت في غيظ :

- « آه ! لن تعود تهذي بمجرد أنني موجود لابد أن في مصر مكاناً يخلو من الأشباح ولو لنصف ساعة يومياً ... »

- « لا يحق لي بوجودك أو مماتك ... كل ما قلت لك ما رأيته ... »

- « وأنا أقول إنك تتخيل ... »

كانت الموسيقا على المسرح تتعالى كأنه حفل خيري للصم ... وكان الرقص هو رياضة عند الصم على ظهر الأرض ... وتدريجياً راح الجميع يرقصون ورأيت الدكتور (سامي) ينظر كمن لا يأبه بها التفت به إلى الوراء متبرماً ... حسبي أن أحداً لا يهتم بصاحب البيت على الإطلاق ، ويبدو أنه يحاول طردهم فسوف يطردونه هو ... بشكل ما أرى أنها عدالة شعرية وأنه يستحق ما يحدث له .

لكن استوقفت نظري مشهد غريب بعض الشيء .

إن (كيتي) ساحرة الرجال قد عادت من الحديقة أخيراً ... كانت مبتلة بالماء كالأسماك ... كالنسمة الهادئة تمشي في تؤدة وهي تخترق جموع الراقصين كأنما لا تراهم .

فرعت لحق بها وسألتها بصوت عال بسبب الضوضاء

- « هل تريدين شيئا ؟ »

نظرت لي بعينين زرقاوين تجمعان بين التوحش والحزن .. غريب أن ترى التوحش يسبح في بركة من الدموع .. لكن هكذا عيون النساء .. برغم هذا مازالت جميلة ..

قالت لي بصوت كالفحيح :

- « ... حبيبي (مريو) قد مات .. قتله (فريدو) على الإفريز المبلل وسلبني كل شيء »

يا للكارثة ! لو سمعك د. (سامي) لانتحر فورا !

قلت لها في رفق :

- « لا تخافي .. ستتصلين بالشرطة ، وسوف يقبض عليه .. ولكن اسمحي لي .. إن ثيابك مبتلة .. ولا شك أن الرطوبة بلغت منك نخاع العظام .. ستصابين بالتهاب رئوي محتوم .. عند (مدام (تريزا) سآخذك إلى حيث تستبدلين الثياب وتحتسين بعض الشاي »

في توحش وعصبية قالت :

- « من فضلك .. لا تتدخل في أموري .. أنا أعرف كيف أعتني بنفسي .. »

- « ولكن .. »

رفعت رأسها وشمخت بأنفها في كبرياء وقالت :

- « من فضلك يا سيدي .. لقد كنت كريما معي ، فلا تجعلني أنسى كرمك بوقاحة .. »

تراجعت للوراء .. وقد قررت أنها بالفعل قادرة على إيذائي بالكلام لو أصررت أكثر .. ... فتقدمت في سكون وهي تضم ذراعيها على صدرها طلبا للدفء ، وسارت ... وسط الزحام

لقد أحببت تلك الفتاة حقا .. إنه محظوظ ... على أنه كان محظوظا ..

بقي أن أنقل الخبر الأسود الكبير للدكتور (سامي) فرجعت إلى د. (رمزي) ... بعد صوت الجسد يرقد على الإفريز فاقد الحياة ...

قال وهو يضرب كفاً بكف :

ـ « هذه غيبة تخص ... اعتقد أن وجودك نور
لا بأس به في هذا كله .. »

ـ « عار عليك أن تؤمن بهذه الخرافات ... »

وبحثت عن « (سمسم) فوجدته يجلس على مقعد
جوار الباب وقد تحول إلى حطام بشري من فرط
إرهاق وتوتر . فأخبرته بالقصة كلها عسى أن ...
... لكنه كان ... عن حقيقة أن الرجل
مات خارج أسوار الفيلا .

ـ « هو ... على (قوة السرب) ... لا ... ولا
مسئولية .. »

ـ « لكن هذا لا يمنع من ضرورة إبلاغ الشرطة بكل
هذه التفاصيل .. »

ـ « الهاتف ما زال بلا حرارة .. »

ـ « إن لديك عدداً لا بأس به من السيارات
سيذهب أحدنا للإبلاغ .. »

قال لي وهو يفك ربطة عنقه قليلاً طلباً للهواء

ـ « اذهب أنت يا د. (رفعت) ... إنني لا أستطيع ترك
ضيوفي ، ود. (رمزي) ... معه سيارة »

... قلبي من فرط التحمس ... وصحت وأنا أنهض

ـ « وهل تسمح لي بألا أعود ؟ ...
... لديك عدداً كافياً من الشهود لو كنت تريد بعضهم »

ـ « اذهب إلى حيث ألقت .. »

ثم صاح في غيظ :

ـ « ... »

وانطلقت كالعصفور ـ لو كان هناك عصفور يصلح ـ
أعذر هذا ... خرجت إلى الحديقة الباردة
ومشيت بين التماثيل المصمتة ... البوابة
الرئيسية ... كيف لم ...
هذه ... ؟ هو ... ثم ... تماماً



[illegible] البوابة كانت [illegible] [illegible] عليها [illegible] [illegible] [illegible] فتحه إلا [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] (حمزة) [illegible] (حمزة) [illegible]

سر البوابة كانت مغلقة [illegible] كان عليها جرير ثقيل ، يمكن فتحه إلا بالديناميت أو المفتاح طبعاً وهكذا [illegible] [illegible] الأمطار [illegible] [illegible] على صوتي

— عم (حمزة) ! عم (حمزة) ! »

[illegible] لم يكن هناك [illegible] حتى عرفته [illegible] جيداً لكن لم يبد أن أحداً بها .

وهكذا [illegible] مضطرب إلى داخل الفيلا حيث [illegible] [illegible] جلت [illegible] [illegible] وكانت [illegible] البوابة مغلقة

— « كيف ؟ ما هذا التهريج ؟ »

« هذه هي الحقيقة [illegible] البوابة [illegible] »

— « [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالانصراف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في قريته »

— « لكن من فعل ذلك ؟ »

نظر إلى الزحام حيث الكل يرقص ويصخب ويتواثب
ويلبس الطراطير وينفخ البالونات وتلك اللعبة الشبيهة
بلسان الحرباء . وقال في انتهاك :

- « أعتقد واحد من هؤلاء ! لقد صارت دائرة
البحث ضيقة ! »

* * *

حر من رأيته يغادر الحفل كان ذلك الشاب ذو
الكأس البرونزية . فهل هو من فعلها ؟ ولعله *
عليها لا داعي لكل القول إن د. (سمسي) لم يكن يضحك
المضرح . لقد بدا أنه مسحورون في ما شاء فيه
ليس هذا الوضع غريب فقد عشته ، ولكن كيف فر
من هذا المكان العجيب ؟

قال لي د. (سمسي) وقد بدا أن الانتهاك جعله أميل
إلى السخرية واللامبالاة :

- « ستضحك كثيراً حين يحاول هؤلاء تملق البوابة
الحديدية ! »

- « سيجنون لو عرفوا أنهم محبوسون في عقدة
الأماكن المغلقة تحبس الناس في وحوش فاقدة المنطق »

قال باسمًا :

- « حين يفيقون من صخبهم يمكنهم أن يتحولوا
إلى وحش . لكن حتى تلك اللحظة لا يبدو أن أحدهم
يتعجل الرحيل .. »

ثم صافح د. (زمري) مصافحة صاخبة بمطوب
(كفك) وهتف :

- « كل عام وأنت بخير يا (أبو زمري) . كل عام
وأنت بخير يا (أبو الروع) . للعام الجديد بدا بداية
واعدة !! »

- « هذه بدايته فكيف تكون نهايته إذن ؟ »

بدأت أحكي لهم القصص الغريبة المتشعبة لكل
الناس في هذا الحفل . وبدا عليهم الذهول وهما
يستمعان كل هذا . الحقيقة إلى حد لم يمض الوقت كله

يصغي ويشاهد مثلي .. لهذا كانت عندي الصورة كاملة
هذه مريبة أن تكون زهرة حانقة وحيدة

في هذه اللحظة بالذات ظهرت السيدة (سجوى كاظم)
كان ابنها (شريف) معها .. وقد بدت على ملامحهما
الجدية والخطورة .. كان ينظر إلى الأرض مصغيًا
لكلامها باهتمام وحماس وصدره يعلو ويهبط

تحمست الأم ولثمته على خده وقالت بصوت مسموع:

- «أنت مثلي لا أحب يا (شريف) بعد أبيك .. اذهب
وأثأر لكرامتنا .. أنت صعيدي والثأر مقدس عندنا»

هز رأسه وشد يديه .. ثم ابتعد تتبعه عينا الأم
الشفيقتين .. ابتعد نحو الباب ...

قال د. (رمزي) بصوت عال :

- «البوابة مغلقة من هنا أيها الشاب .. يجب أن
تنتظر !»

لكني قلت له همسًا :

- «دعه .. هذا الفتى يبحث عن مصيبة ومن الخير
أن نتركه .. إنه ذاهب للانتقام ممن قتلوا أباه .. لأن
صوت الثلاجة يضايقهم .. وأنا واثق أنه سيعرف كيف يخرج
حتى لو هشم البوابة تهشيمًا»

- «ذاهب لينتقم في هذا الوقت بالذات ؟ يا أخي لماذا
لا ينتظر حتى الصباح ؟»

- «إنه الحماس كما تعلم ..»

حرك د. (رمزي) أنامله حول جبهته كمن يصف
مجنونًا .. ثم تصلب كمن تذكر شيئًا .. ورأيت نظرة
جادة خطرة على وجهه .. هذه النظرة رأيتها أكثر
من مرة هذه الليلة حتى صرت أعلمها

أعلمها وأكرهها ..

ألم أعلمكم أن تكون أسطورة ممتعة ؟

* * *

٩ ـ الراحلة ..

على المسرح المرتجل ظهرت ثلاث راقصات من نمط الطراز الذي يؤدي حركات رخيصة تتكرر بالجملة تصاحبهن موسيقى خفيفة

ورأيت ثلاثة رجال أقوياء غلاظ الأجسام سمر الوجوه ـ كالعادة ـ يتجهون إلى المكان كل شيء يوحي أنهم من الشرطة أو ـ على أقل تقدير ـ من الحرس الشخصي ولكن من أين جاءوا وكيف لم أرهم من قبل ؟

ونظرت في دهشة إلى الجالسين لقد بدا الحفل بهذا لا يجوز للمحسنين . لكن لا ـ ما شاء الله ـ يكثر العدد حتى بات من المائة بالرغم أن هناك من مات ومن حتفى ومن ذهب بسقم

لكن منظر هؤلاء العبيد الظرفاء ليس مما يبعث البهجة في النفوس ..

رأيتهم يمشون في ثقة يتجهون نحو

نحو (أكرم) هل تذكرونه ؟ الفتى العوانسي المتحمس الذي لا يرضى بكل اللطف والمعطف الذين تتعامل بهم زوجة أبيه مع الأعداء

كان واقفا ويده في جيب سرواله ، ينظر هؤلاء الرجال كي يقتربوا منه وسمعت أولهم وأقواهم شخصية يقول باحترام

ـ « هل تسمح لنا يا (أكرم) بك ؟ »

ـ « نعم لكن من دون ضوضاء »

وتقدم اثنان منهم في سرعة وحزم وغابا وسط الزحام . وفي اللحظة التالية رأيتهما يقتادان زوجة الأب ـ مدام (سوسو الصباغ) ـ بكثير من الاحترام لكن ـ كذلك ـ بكثير من الحزم ثم يجبرونها على مغادرتها بقسوة . لكن فهيمة تحدجهما على مصمصها كانت تشي بما يحدث

وقفت المرأة بين الرجلين تنقل عينيها بين زوجها ، وفي مرارة قالت :

- « ستندم يا (أكرم) .. »

لم ينظر إليها ، وقال وهو يشعل لفافة تبغ

- « لن أندم .. لقد حان الوقت كي يتولى الأمور شخص قوي .. شخص يعرف كيف يعيش .. وكنا أكره أن أكون تحت إمرة سيدة ضعيفة .. ومن الآن سيعود لاسم أسرة (الصباغ) مجده القديم .. سيكون الأغنى والأقوى والأشهر »

- « وماذا سيفعلون بي ؟ »

قال في وقار وهو ينفث الدخان

- « لا شيء .. سيتم نقلك إلى مكان آمن ، وتكوني أنا كل شيء .. بالمناسبة لقد قمت بإزالة اسمك عن كل العقارات والبيوت ، ولسوف أوقع باسمي الخاص في أي معاملة قانونية من الآن فصاعدا .. »

- « أنت تتصرف بحماقة الشباب .. »

- « وأنت تتصرفين بتزمت الشيوخ .. »

ثم أشار إلى الرجال كي يأخذوها .. خارج المكان ، فنظرت له نظرة الوقار ممتزج من أن تقاوم .. رفعت رأسها في شمم ومشت معهم متجهة إلى الباب

هذا هو ... هذا آخر سيعرف الفيلا لا يعلم إلا الله كيف

ما هذا المشهد الغريب ؟ وما معناه ؟ والغريب أنه لم يثر انتباه أحد غيري ..

الهاتف .. هل عادت الحرارة ؟ لابد من إبلاغ الشرطة وهي وحدها القادرة على معرفة سر هذه الأسرة العجيبة ..

ظهر ثم أبحث عن ... (سمسم) ، وهرعت إلى الحجرة الصغيرة الجانبية التي كان فيها الهاتف محسن الحظ أن الباب غير موصد

فتحت الباب .. ونظرت إلى الظلام

هناك شخص ما ..

الثلج على وجه التحديد ، لأنني سمعت لأنين وشممت رائحة عطر فاغم مسكر ..

بحثت يدي عن مفتاح النور .. ها هو ذا .. من الغبي الذي وضع المفتاح على هذا البعد عن الباب كي .. ؟

هب بعد قرب .. ي كاتب أرعب الأشهر (مستوى عالمي) يترك أضواء شقته مضاءة .. كي لا يعود إليها في الظلام فيبحث عن مفتاح النور .. عندها يشعر باليد الباردة على يده !!

حسن .. يمكن القول إنه بعيد النظر

هذه (كاتيا) ..

كانت جالسة في المكتب الصغير .. وقد غطى شعرها وجهها فبدت كمسخ المحترف في أفلامنا العربية وكانت في سوأ حال .. رأسها يترنح كأنما وراءه قاطر .. رأتني ففتحت عينين حمراوين عن آخرهما وقالت

- « أنت من جديد ؟ أنت كالكابوس لا تنتهي أبدًا »

ثم انفجرت في ضحكة متوحشة مجنونة وقالت

- « يكفي أن أراك ثانية حتى لحظة البعث .. »

وسرت على وجهي سحائب العجب ، قلت في خبث

- « حطلو ! حطلو ! »

ثم سقطت على الأرض كأنها دمية ماريونيت تقطعت خيوطها

ولم أحتج إلى كثير جهد كي أعرف أنها ماتت

* * *

هل هؤلاء إسرائيليون ؟ هل هذه المرأة بالذات إسرائيلية ؟

لغات قليلة جدًا في العالم تستطيع النطق بالإيقاع الذي تستعمله هذه المرأة .. والأعجب أنها نطقت سليمة .. بين العربية والعبرية والفرنسية .. وكانت الأسس الحميمة لا ترتاح كثيرا لحرف الحاء في نطقه (حطلو) هذه أنت تعرف كيف تبدو العبرية لمن يسمعها .. بها رنين مطبوس كأنه بجمعه دون ذاته

هل هؤلاء القوم غريبو الأطوار إسرائيليون ؟
لا أظن .. ليس عليهم تلك المسحة العرقية المميزة
لليهود الشرقيين ، ولا هم يبدون [illegible]

ما معنى هذا ؟

طبعًا لم أكن أفكر في هذا وأنا أجلس أشرب الشاي
وأدرس جثتها .. كنت أفكر في هذا كله وأنا أخرج
بين الغرف بحثًا عن د. (سامي) [illegible]

[illegible] وجدته وكان واقفًا مع زوجته مدام (ثريا)
يتهامسان .. وأصبح أنه يقول لها باختصار .. ثمة
شيء غير مريح في هذا [illegible]

[illegible] وجهي ، ومعه رأى [illegible] من الترك
كل شيء وتعال معي ، وهكذا وضع يده على معصم
الزوجة كي تنتظره ثم لحق بي . وفي الطريق وجدنا
د. (رمزي) فألحقناه معنا ..

القوم هؤلاء عجيبون [illegible] حتى إنني افترضت
أنه يمكن أن يخرج الجثة ليدفنها في الشارع دون أن
يسأله أحد عن شيء . لكن لم يكن ثمة داع لهذا، طبعًا

وفي الحجرة كانت الجثة - التي كانت [illegible] - مكومة
جوار المكتب شخصية [illegible]

بقرب [illegible] د. (سامي) [illegible] وراح يردد

- « يا سلام .. من أجمل هذه .. جثة ثالثة ! [illegible]
من هذا ! »

أما (رمزي) فقال بكل هدوء وأصابعه في الماء
البارد :

- « ما سبب الوفاة يا د. (رفعت) ؟ »

صحيح .. هذا سؤال وجيه .

ركعت جوار الجثة وفحصتها بسرعة .. لا يوجد
ما يريب .. [illegible] أن أفحص [illegible]

- « من الصعب أن نجزم دون تشريح .. لكن مصرعها
غير الطبيعي وحالة الجحوظ التي كانت [illegible] توحي
لي بأنها تعاطت جرعة زائدة من مخدر ما . »

- « هذا جميل .. لكن أين هو ؟ »

- « في معطفها طبعاً .. كيف تتوقع أن تجده ؟ »

عاد (رمزي) يسألني في تدقيق

- « هل قالت شيئاً قبل وفاتها ؟ »

- « لا أذكر .. كانت محمومة .. ثم قالت شيئاً عن عزرهه .. حصانو .. حصانوي .. حلاو .. »

- « ما معنى هذا ؟ »

أشرت إلى الصدغ إشارة ذات معنى .. علم هذا عند الله ..

تساءل د . (سامي) وهو يجفف عرقه

- « ولماذا انتحرت الحمقاء ؟ »

قلت في ثقة :

- « ومن قال إنها انتحرت ؟ ربما لم تحسن تقدير الجرعة .. ولو كانت انتحرت فذلك لأن الأخ (مدريو) قد مات .. هذا هو الجزء الواضح من الموضوع .. »

ثم ركع د . (رمزي) على الأرض ، ونظر إلى ما تحت المكتب في اهتمام .. ثم نهض وقال :

- « هذه المرة لا أرى أن ننقل الجثة من مكانها .. سنتركها هنا ونغلق الباب جيداً .. لن نظل هنا للأبد ، وسوف يأتي رجال الشرطة ويفسرون لنا كل شيء .. »

وخرجت من الغرفة مع رمزي .. كنا مرتبكين حتى لو بدا أن نفيض عليه بتهمة قتل المرأة دون مناقشة .. وتذكرت كيف كانت تملأ المسرح حبوراً وذلاً منذ ساعة تقريباً .. ثم قررت ألا أطلق العنان لهذه الخواطر ، لأنها قد تستهلك من فرط التزيد .. هذه حقائق مفروغ منها .. لقد هي تذكرنا بمسلك الخاصة الواحدة صحيح ولم يتغير شيء في الحقل ولا من فيه

ألم أعدكم أن تكون أسطورة ممتعة ؟

* * *

١٠ - نخاف أن نفهم ..

في الواحدة والربع صباحاً جاءوا لينهوا الأمر

جاءوا وفي عيونهم الغضب والرغبة في الانتقام ، ولكن واضح من منظرهم أنهم لا يمزحون

جاءوا ولا أدري من أين دخلوا ولا كيف

فقط مشوا وسط الناس .. وكان الحفل قد تحول إلى فوضى تامة .. كل الطراطير على الأرض والأكواب المهشمة والمقاعد التي تقلبت أو تحركت ، حتى صار المكان بحاجة إلى [illegible] لا تنظيف .. وكان البعض قد بدأ ينظر إلى ساعته .. البعض الذي كان يعرف بالضبط من هم ومن أين جاءوا وما هؤلاء السمر الذين ظهروا في المكان فجأة .. فقد بدا أنهم سيظلون هنا إلى الأبد

رأيت هؤلاء الرجال ، وعددهم لا يقل عن العشرين

اصغر واحد فيهم في حجم باب الغرفة التي تمر فيها هذه الكلمات. لكنهم لم يكونوا سمر الوجوه كما هو شائع في البحر المتوسط لكنهم [illegible] عرب

وفي المقدمة ـ محتفظ بهيبته وبعضلاته الواضحة ـ رئيس العصابة (يبتسم): « هل تذكرون رجل [illegible] الحجر الذي شرب في كأس [illegible]؟ لقد عاد »

يبدو أنه سيجر مجموعة من البلطجية من مكان ما ولم أدر أنه من السهل أن تجد بلطجية في الواحدة صباحاً، لكنه فعل ذلك.

ويصل القبيه الأحد عشر في مكانهم ويكونوا عرضين في محاذاة [illegible] على ما يبدو ثم تشهر [illegible] نظروا [illegible] رجاله. وفي عينيه بريق التصميم والتحدي

قال لهم في تؤدة:

ـ « لقد عدت ومعي هؤلاء الأصدقاء [illegible] وسوف [illegible] على [illegible] أن [illegible] صاحب الكلمة [illegible] »

قال له أحدهم وهو يتظاهر بأنه ليس خائفاً إلى هذا الحد:

ـ « (يبتسم) نحن لا نتعامل بالبلطجة هنا من الصعب أن تحصل على ما تريد هنا »

ـ « أنتم طردتموني ظلماً وزعمتم أنني كاذب [illegible] شرقي وشرف أمريكي، والآن تقولون إن القوة لن تحقق شيئاً. هذه نظرية تحتاج إلى برهان »

وراحت البلطجية [illegible] خناجر أو [illegible] جميلة. بعضهم كور قبضته ورفعها في الهواء، وبعضهم أخرج قبضة نحاسية راح يضرب بها كفه. وبعضهم ضغط على زر [illegible] فخرج [illegible] شيء كالخنجر

ـ « الآن هل ترغبون في القتال أم تطلبون الخضوع؟ »

تبادل الشبان النظرات. كان من الواضح أنهم [illegible] لكنهم [illegible] لو كان الاستسلام أقل خزياً من هذا [illegible] وبدءوا يطرقون الرؤوس

قال لهم (بلسم) في شمم :

- « الآن نخرج معا .. وفي الطريق ستعرفون كيف أن (صب الحجر) سيتبدد عصرا جديدا .. عصرا يمكنكم أن تطلقوا عليه العصر (الصفوي) .. »

وهكذا خرج الاثنا عشر رجلا، ومعهم (القصابيف) اليونانيون .. لقد حققوا نجاح هو » لاشك أنه في الحفل .. وسنذهب في أوسع .. هؤلاء القوم يخرجون ويدخلون بلا أية مشكلة وسيتم .. عرف كيف

هنا ظهرت السيدة السمراء التي تحمل الطفل لعمة من الطابق العلوي .. وكانت ترتد في جزع يعلنين حصرتين :

- « ليس هناك .. (مصطفى) ليس هناك ! »

إنها .. ولا ألومها على كل حال

لكن خلفها رأيت امرأة تشبهها لكنها ليست مريحة على الإطلاق .. إنها من الطراز الذي (يكيد ولا يكاد)

فمن هي ومتى ظهرت في الصورة ؟

وسمعت من يقول لصاحبه من خلفي

- « (هنية) أخت زوجة معها .. إنهم تكرهه يجنون، ويعرف كل تفاصيل الحياة القذرة التي تديرها أختها الأخرى .. الأم البائسة لاتعرف أن الساحر لم يكن سوى أخي زوجها المنكر .. إن الساحر .. خطف .. والله يعلم ما فعله به .. تلك المسوخ الشريرة بحق .. »

هذا جميل لكنه لايهمني على الإطلاق .. ربما يهم الشرطة أو محطة الاتصال بها، وإن كنت أشك في هذا

هذه التفاصيل لاأهمية لها .. لماذا هربت من (بيرارو) ؟ على الأقل هذه شبه إجابتها .. تطردك أسرها هي . لكن ما يحدث الآن يثير الشوار والصداع ..

جاء د. (رمزي) وزوجته وحسب جواري، وكان يشرح لها فيما يبدو حقيقة أنه محبوسون هنا لأن الذعر بدا عليها .. ثم نظر لي وابتسم في إرهاق وقال

- « ماذا يحدث هناك يا دكتور ؟ »

- « لاشيء .. لست متعجبا من [illegible] الحجر) [illegible] السيطرة على الأمور بمساعدة بعض الشبان والزوجة مازالت تفتش عن زوجها .»

- « وماذا عن الشاعر ؟ »

نظرت حولي في كل مكان فلم أجده .. لكن لامشكلة هنالك .. هل يمكن العثور على شاعر ؟ ربما كان في الحديقة يحلم بالمطر ، وربما كان في الشرفة وربما كان في دورة المياه .. حتى الشعراء يدخلون دورة المياه أحيانًا ..

لكن رأيي تغير حين وجدت رجلين [illegible] الرأس يقفان ويتبادلان الحديث الهامس مع (محب) [illegible] الرجل القوي الذي يحمل مشعل الشعر ويهز به أعداءه .. رأيته يهز رأسه موافقا وعلى ثغره شبح ابتسامة .. من هذان الرجلان ؟ مهما سمعت هؤلاء [illegible] الذين [illegible] في الأفلام الأمريكية اليوم .. لكن [illegible]

معروف موضعه كهذه في [illegible] وكان شريكي هنا واضح ولا يحتاج ممن يسألني عن السبب

بعد دقائق ظهرت الفتاة الرقيقة زوجة الشاعر وهي تفتش في قلق ، وسمعتها تصيح

- « (مراد) ! (مراااااد) ! »

لكن أحدا لم يبال بها .. ومررت بها ونظرت لي نظرة مستاءة ثم واصلت البحث

تعاطفت مع السيدة السمراء التي تختفي زوجها [illegible] نظرة متفهمة ، وانطلقت كل واحدة منهما تبحث عن زوجها في قلق

هرعت إلى الرجل القوي (محب) ، وبدا أنهما [illegible] بينما هو راح يربت على كتفها متعاطفا ثم انطلق يبحث معها عن زوجها

قال د . (رمزي) وهو يتابع المشهد

- « أعتقد أنها لن تجد زوجها أبدا »

- « يا [illegible] حرام عليك .. كل [illegible] »

قال في ضيق وهو يسترخي في مقعده

- « مصري .. ملك محتلي مهيتي »

ثم نظر في عيني والتمع في عينيه نظرة سهمة. وقال :

- « هل تريد أن تأتي معي ؟ ثمة شيء أريد أن تشاركه معه في تلك الغرفة التي تركت فيها الجثة »

- « أية جثة .. لقد زاد الحد كثيرا »

- « لا تكن طفلا .. أعني جثة الراقصة الشبيهة التي تحب الإيطاليين .. »

- « لا أفهم .. لكني سأفعل »

ومشيت وسط الظلام الذي حيث كان د. (مساعي) يقف أمام الشرفة، يرمق النيل البارد في الخارج، وهو يتمنى أن يكون هذا كله حلما

طلبت منه مفتاح الغرفة وعدنا إلى هناك وعالجت الباب حتى فتحناه ..

كان النور مضاء والجثة مازالت حيث هي لم تمد لحسن الحظ ..

من جديد ركع د. (رمزي) على ركبتيه يتحسس المكتب وراح ينظر ثم قال لي

- « أنا لا أرى جيدا في الظلام .. هل معك ولاعة ؟ »

ناولته ولاعتي، فراح يفتش ثم

وثب إلى الوراء وسمعت فحيحا غاضبا .. س س س س س س .. فهتف الرجل

- « زادي بو خطلق إن بلبو ! »

ثم قال لي وهو يشير إلى أسفل

- « هل ترى ؟ هذا هو سبب الوفاة .. هل ترى ؟ »

لم أكن بحاجة إلى الركوع لأرى .. لأن رأس الثعبان خرج من جانب المكتب متلويا ثم عاد إلى الداخل

- « كوبرا مصرية .. لم تكن موجودة حين بحثت أول مرة .. لأن المرأة كانت تخفيها في طيات ثوبها

وأنت لم تتبين القصة لأنها في الصدر تحت الثياب
الآن يريد الجسد وحرقته الكوبرا بحثًا عن جسد آخر .

— « ما معنى هذا ؟ لا أحد يسحر بعصبة ثعبان
وهو حدث فمن الذي يشي به ؟ »

قال وهو يجفف عرقه :

— « هل أن أجيب عن سؤالك أقول لك إن المرأة
قلبت لك (حفاو) أليس كذلك ؟ »

— « بلى .. ولكن ... »

— « وكانت هي التي تتحدث عن (الحف) و (الحسب)
كما قلت أنت من قبل لي .. »

— « نعم .. لكن لا معنى لهذا .. »

راح يلهث وانسحبت عيناه من وراء عويناته وقال
وهو يرتجف :

— « (حفاو) معناه ثعبان [illegible] حفث ، معناه بيرة
أو جعة [illegible] (حسب) بكسر الحاء والباء معناها مائدة
تقديم القرابين [illegible] هل عرفت بقية معه ؟ بالمصرية القديمة . »

تبادلت و[illegible] [illegible] نظرة عجب مطبق ، [illegible]
وواصل الرجل الوسته وهو يجفف عرقه

— « كان ما قلته لك هو مجرد أقرب فرضية لفهم
خروج الثعبان من جحره [illegible] ويبدو أنها فعالة . »

التصقت به وأسندت ظهري إلى الجدار البارد

— « كنت أخشى أن تقول هذا [illegible] الأمر واضح
لكننا جميعًا نخشى الاعتراف بالحقيقة [illegible] هؤلاء في
خارج الغرفة هم من قدماء المصريين . »

ألم [illegible] أن تكون أسطورة مهمة ؟

* * *

١١ ـ لحظة الحقيقة ..

قال د. (رمزي) وقد اندمج تماما حتى كدت نحسب أننا نتكلم في غرفة فيها جثة رمسيس

ـ « ولكنك نسيت ما حدث هذه المرة ووجدت عجيبا »

ـ « هناك (عرمس) بك الذي يتمنى أن يتخذ قبرا آخر يخلد ذكراه .. لقد سرق اللصوص جثة والده من مقبرتها مرتين ، والقبر الذي يتحدث عنه ... كل الشيوخ يتكلمون بالطريقة ذاتها .. لكن ألا يذكرنا هذا بالملك (خوفو) وحلمه ببناء الهرم الأكبر ؟ أمه الملكة (حتب حرس) سرق اللصوص قبرها أولا ثم مومياءها .. أليس هذا مثيرا ؟ »

ـ « مثل أشبه المصادفة .. لكن ماذا عن صدام ... العلاقة الزوجية التي تصر على أن تكون علاقة حب واحترام مع الآخرين ، بينما ابن

زوجها المتمرد (أكرم) يريد أن تكون علاقته بغيره قوامها الخوف والبطش .. ويرى أن أهله يقصرونه ويريد أن يسمو عن كل شيء ، ويبدأ حياة عدوانية تمسها كثيرا »

قلت له وأنا أرتجف :

ـ « نعم .. هذه (حتشبسوت) و (تحتمس الثالث) الملكة التي حاولت أن تكون كالرجال ، وزعمت أنها ابنة (آمون) نفسه .. لكن (تحتمس) انتصف وورث العرش وحكم مصر .. وبدأ عصر من الفتوحات لكنه أزال كل ما يدل على اسم (حتشبسوت) على المسلات والمعابد وكل شيء .. لقد فكرت في هذا وأنا أتأمل الصراع .. »

قال د. (سامي) :

ـ « زوج من المجانين .. لقد صرنا جديرين بالرئاسة سنتقدم عن حالتكما ورقة علمية فائقة النجاح »

مرتابة به وواصلت تذكر ما حدث ليلة

- « هذا ما جرى في المحتوى كهم التي تقذف
روحها في الجسد ... بطعنة ويصيبهم صوت
الثالثة » ـ وصاح (رمزي) الكلام .. » وفي شهيه
اتسعت عيناه بأن يصر به ويأخذ بثأر أبيه ... اليس
هذا ... (حب) وليس هذا (حمس) وليس الأب
هو (مصرع) ؟ أليس هو ... الجبر ... لتوحيد هم
الهكسوس الذين زعموا أن أصوات أفراس النهر في
الصعيد تصيبهم في الوجه البحري ؟ أليس هذا هو
كفاح طيبة ؟ »

نصلت ق في حماس :

- « أن هذا عن الشاعر الحالم الذي يحدي لتجميع
وعاش في الفكرة الخاصة ؟ نفسه يكشف عن بين
أبيه ... زوجته العصماء التي لا يشعر بوجودها وحبه
الجميلة المسيطرة و (محب) الذي يحبه كل شيء
والرجلان أصبحا فارسين ... في أي شيء يختلف هذا عن
(الحلو) والجميلة (نفرتيتي) ؟ وحبه الملكة تي

لاحظ شبه اسم (محب) مع القائد (حور محب)
وأن كلا الرجلين من كهنة (آمون) الغاضبين
بسبب انصراف الملك عن معبوده إلى عبادة قرص
الشمس (آتون) وبمكر الكهنوت أنهم ...
... إلى الصحراء حيث قتلاه ونفذاه ... لأن
النهر سوف ... سوى طيبة ».

- « كنت أتساءل عن الحقيقة التاريخية على عصر
الأسرة المصرية ... الحقيقة أنها كانت تمثال
... ، الذي سقطت عليه المصري ... نوع من
... سوف يسيطر (حور محب) على
مصر ... ويموت (نفرتيتي) مطعونة ... كان الشاعر
يعرف أنه ... الرعد والدعاء وحسبه يحرف
... يعرف أنه كان يعني كل حرف ... »

هز (رمزي) رأسه وقال :

- « لكن لا أعيب العربية وإن قصصت العربية ...
الأصلية ... كل هذه الغرابة ... يكتب حقيقية
الاعتراف بهذا .. »

ثم فكر قليلا وأشار إلى الجثة وقال:

ـ « الراقصة العارية التي تخرج من بساط يحمله
له حطاب شيخ بيطالى . أليست هي (كليوباترا) التي
لم تجد سوى جسدها كي توقع (يوليوس قيصر) في
حبائلها ؟ بعد هذا أوقعت رومانيا آخر في حبائلها هو
(أنطونيو) ولم يغفر له (أوكتافيوس) هذا . لقد
كان أخا زوجته كذلك . وجاء له بأسطول جبار
والتقى الأسطولان في موقعة (أكتيوم) وكانت
الغلبة فيها لـ (أوكتافيوس) . مضى هذا في موقعة
(أكتيوم) قد سبب القبلة على الإفريز تحت الأمطار
خارج سور الفيلا . تعود المرأة التي عرفته معرفة
وتدس ثعبانا في صدرها وتموت . لكنها قالت له
كلمة واحدة قبل موتها هي (حلمو) . يبدو أنها
كانت تفرط في استعمال المصرية القديمة على حساب
الزائل اللسان .. »

قلت في حماس:

ـ « والعجوز الذي قتل تحت تمثال (بومبي)
ألم نلحظ هذا من قبل ؟ لقد قتل المتآمرون
(قيصر) تحت تمثال (بومبي) في روما . فلم يجد
لا الوقت الكافي ليقول : حتى أنت يا بروتوس ؟
التي قالها قيصر ! ثم سقط بعد أن تلقى
عشرات الطعنات .. »

ساد الصمت وعلق كل منا بما رآه ومن سمعه
في تلك الليلة . تلاحقت أنفاسنا واضطرب نبضنا

ـ « اثنا عشر شخصا يشربون في كئوس ، بينما أحدهم
يشرب في كأس من برونز . هذه قصة (بسماتيك)
وسر ؟ الكهنة المصريين . تنبأ بعض الكهنة
(بسماتيك) بقراصة مرمرية من (كريت) وعاد
معهم سيوحد مصر ويجعلها قوية . وينشئ الأسرة
السادسة والعشرين التي حكمت من مدينة (صا)
أي (صا الحجر) بمحافظة الغربية ! »

هل تتخيل د. (مصطفى) سيقول في برود:

- «لحظة من فضلك .. لا يمكن أن نفترض أن

المرأة التي صارع زوجها هي (إيزيس) .. إيزيس

إلهة وشبيه ولم توجد إلا في الأساطير»

قال د. (رمزي) الذي - ولا مراء - كان يلعب في

ملعبه الخاص الآن:

- «لا تنس أن لبعض الأساطير أساساً تاريخياً

(أوزيريس) كان أميراً أو ملكاً من لحم ودم تآمر

عليه أخوه (ست) وتخلص من جثته بعد أن حبسه

في تابوت .. فجابت الزوجة المخلصة ربوع البلاد

تجمع الأشلاء .. وجهك لن يستطيع أن يرى شيئاً

فيما بعد حسب الأسطورة .. وعبد المصريون (إيزيس)

و(أوزيريس) إلهين .. وصار .. إله البشر»

قلت أنا:

- «وبعث (أوزيريس) الممزق كنف (إيزيس)

بابنها الذي هو (حورس) .. لدى به رأس صقر»

صاح د. (مصطفى) في جنون وهو يوشك على

الإصابة بفالج:

- «لستما مجنونين .. هل تريدان القول إن عميلك

مع زوجته قد خدعونا .. ويحتفلون في بيته برأس السنة؟»

قلت مبتلعاً ريقي:

- «نعم .. كل الدلائل تقول ذلك»

- «والسبب؟»

قال د. (رمزي):

- «لسبب هذا فلا يستطيع أحد أن يتحرك به .. ولا نحسبهم

لا تعثرون على تحركاتهم أيضاً»

- «وماذا تفعل؟»

قلت وأنا أتجه إلى باب الغرفة

- «لا أعتقد أن علينا أن نفعل شيئاً .. سننتظر

وعلى من يقول هذا بالذات .. المهم ألا يشعر ضيوفك

المصريون بشيء أو يتجهوا إلى البيت الآن»

وخرجت من الغرفة .. فقط لأتصبب .. ومن جيبي
أخرجت علبة أقراص النيتروجلسرين ووضعت
قرصين تحت لساني .. إن ما رأيته
رهيب ..

* * *

كانت الأضواء كلها مطفأة في القاعة كلها
وكان الصمت الرهيب يخيم على المكان
ثمة مشاعل في عدة أماكن لا أعرف من أين
جاءوا بها ..

وكان هناك كهنة صلع الرءوس عراة إلا من مئزر
حول الخصر .. يحيطون بمائدة البوفيه الطويلة التي
هي عدة موائد متلاصقة .. وفي مركز الصدارة منهم
كان ذلك الشيء المخيف الذي له جسد إنسان ورأس
ابن آوى طويل الخطم .. إنه (أنوبيس) الذي اعتبره
المصريون القدامى مسئولا عن التحنيط والمقابر

وبدأ تحت صفوف الكهنة يتقدم في خطوات
ثابتة .. (لا هو يسمعك) .. في وقار تمدد على
المنضدة ووسطه بدأ الكهنة عملية تحنيطه على
ضوء المشاعل ..

إن عملية التحنيط مرهقة تحتاج إلى أربعين
يوما لكنهم كانوا يؤدونها بسرعة كأنما هم يمثلون
ما يحدث .. يسدون الأنف والفم بالكتان المشبع
بالراتنج الأسود ثم يصمغون العينين .. من الصعب
عملية إخراج الأحشاء والمخ ، لأنهم لم يقوموا بها
فعلا ، لكنهم قاموا بها بشكل رمزي .. ووضعوها في
الأوعية الكانوبية ..

بعد هذا غطوا الجثة كلها بملح النطرون بينما
صوت صلاة غامض ينبعث من لا مكان .. ثم غسلوا
الملح مستخدمين عرقي الملح .. وبدءوا يطلون
اللفافات التي لا أدري متى تكونت ببشرة الخشب
المحنوطة بالراتنج واللفافة والمر

لا يعصون الجثة بالنظرون مع [illegible] التحيت صمعية
مثل النبس الذكر (الكسز) والعر وريت الارز
وبعدها يطوى الجثة بطبقات الكتان [illegible] لكي تذوى
يلبس جسد الفهد يتقدم ليلمس بعصاه فم الجثة
ويردد بعض الادعية كي يمكن الميت من فتح فمه
لحظة الحساب والدفاع عن نفسه

* * *

« ايها العظيم رع [illegible] حسب [illegible] لا تتركني ايها الاب
الطيب كيف يمكن ان تتركني بعيدا عنك ؟ اني عود
الان من العداء وحدة [illegible] من كان يحبو سي
الكلام معك صرت الان صامتا »

انه الحكيم [illegible] حسب ترثي اباها وهي غاضبة من نصيرة

* * *

نظرت للناس [illegible] على [illegible] لم يجسر
واحد على الكلام او الدهشة او التساؤل

وراب الكهنة يضعون الجثة في تابوت لا ادرى
من اين جاءوا به ، ويتقدم بعض الشباب يحملونه
درجين ببطء من القاعة وفي اللحظة ذاتها تقدم
[illegible] (حوتو) الذي كان (عرمي) [illegible] ، يبسم على
[illegible] ويمر بهذه الطقوس ذاتها

كل [illegible] حاف لكي بحثت حتى وجدت
[illegible] يرمق المشهد [illegible] هلا [illegible] أكلمك
لكنه يحرسني باصبع على شفتيه

ثم تستغرق طقوس [illegible] (حوتو [illegible]) عشر
[illegible] كم هم [illegible] لا يعين يوما في
عشر [illegible] ومن بعده جاء دور ([illegible] ساتون)
وستغرق ثلث ساعة ..

[illegible] مستمر [illegible] تجول
[illegible] بين الكهنة [illegible] تتصاعد الى
الانوف حتى تتوشك عن فقدان وعيك [illegible]

الآن جاء دور (حتشبسوت) فتبعها .. ثم (إياح حتب)
فتبعها (تحتمس) .. ثم (ابريس) .. ثم (كليوبترا)

بعد خروج التابوت الأخير على أكتاف الشعب انحسر
الأولياء .. وسمعت بكاء يصرخ ويبكي في حرقة

وساد الصمت إلا من صوت طقطقة الخشب في
المشاعل، وأسمع من يقول: اطفئوا الأنوار .. لكن
لم يكن من داع لهذا لأن ضوء الفجر كان قد بدأ
يتسرب إلى القاعة..

وهرعت إلى الباب فرأيت الضباب يملأ الجبانة
الضباب والبرد.. تلك المصابيح مرأت مضاءة تشي
بليلة صاخبة .. ووسط الضباب لمحت آخر تابوت
يذوب على أكتاف حامليه..

وأدركت أن البوابة مفتوحة على مصراعيها

كان الصمت والوجوم يعصفان بالقاعة الآن .. لقد بقي
نحو عشرين من الضيوف الطبيعيين يفركون عيونهم،
ولا يفهمون شيئاً.. لكن الهلع بدأ يدب إلى عيون القسم

... صفقت بيدي في جذل ورحت أضحك
ضحك أولم العيون التي تنظر بي الظنون

ثم هرعت إلى د. (سامي) فشددت كتفه في
حرارة، وصحت:

— « برافو .. لكن هذا أروع عرض رأيته في حياتي.
لقد خدعت الجميع .. كلهم حسب الأمر حقيقياً »

وهتف د. (سامي) الذي انعقد الخيط

— « هذه أروع مفاجأة شاهدتها في ليلة رأس السنة
طيلة حياتي .. صدقني .. لقد جربت رأس السنة في
(الدنمرك) و (كندا) و (فرنسا) لكني لم أر عرضاً
بهذه القوة وهذه البراعة .. »

لكن صوته كان يرتجف .. ولمحت لمعة رهبة
وذعر في عينه..

وسمعت هذه سيدة من الضيوف تصرخ

— « ولو .. ما يجمعها من سهر .. »

وفتاة مصرية تصيح :

ـ « ياى ! أوريجينال ! كلما بدا الأمر مخيفًا كان أكثر إثارة .. »

أما الرجال فبدءوا يصفقون ، وهرع بعضهم يصافحون الرجل قائلين إن الأمر بدا حقيقيًا إلى حد أنهم أصيبوا بالهلع .. فكان د. (سامى) يهز رأسه فى تواضع قائلاً :

ـ « إنه (عباس) .. لقد وعدنى أن يعنى بالتفاصيل كلها ! »

وأخيرًا بدأ الناس يودعون المضيفين الكريمين ويرحلون قائلين إنها أجمل ليلة رأس سنة رأوها فى حياتهم ..

* * *

وفى العاشرة صباحًا بينما الخدم يزيلون أثر الغزاة الذى بدا كأن ثورًا دخل معرض الخزف الصينى ، كما تقول القصة القديمة ، ومعهم مدام (ثريا)

ومدام (مارى) البائسين طبعًا ، كنا نحن نجلس فى الحديقة التى غمرتها الشمس أخيرًا .. شمس أول يوم فى العام الجديد ..

لم يبد لأحدنا أن هذه الليلة كانت حقيقية ، لكن لاتوجد هلوسة جماعية .. ولا يوجد حلم جماعى ..

قال د. (رمزى) :

ـ « لقد صدق الحمقى ما قيل لهم .. »

قلت :

ـ « لو عرفوا الحقيقة لمثلوا أمامنا صرعى .. ليس من المستحب أن يعرف الجميع حقائق الأمور .. »

ـ « نحن لم نعرف شيئًا .. لماذا حدث ما حدث ؟ لو افترضنا أن هؤلاء القوم كانوا أشباحًا أرادت أن تعيد تمثيل حياتها أمام الناس ، فلماذا اختارت هذه الفيلا بالذات ؟ »

قال د. (سامى) فى شرود :

ـ « إنها ليست المرة الأولى .. هل تذكر يا (رفعت) حلقة الرعب ، و (شكرى) الذى كان يبحث عن التسلية فجاءنا ليسمع قصص الرعب منا ؟ ثمة أشياء غريبة تحدث فى هذه الفيلا ولا أجد لها تفسيرًا .. إنها تتمتع بجاذبية غير مسبوقة للأشباح والكائنات الغريبة ، وبينى وبينكم أعتقد أننى سأتركها . لم أعد أطيق الحياة فيها يومًا آخر .. »

ـ « لا ألومك .. كما أن فكرة أن أتناول طعامى على مائدة استخدمت للتحنيط ، لا تروق لى كثيرًا .. »

وتبادلنا النظرات المتوترة والمتبهرة ..

أخيرًا قال د. (سامى) :

ـ « يمكننا أن ننسى كل شىء عن هذه القصة .. لم يعد لها أثر مادى ولا معنوى .. سنفترض أن هذا كله كان كابوسًا جماعيًا .. بل هو بالفعل كابوس جماعى وقد صحونا منه .. »

ساد الصمت لمدة عشر دقائق ، وفجأة سمعنا صراخًا قادمًا من داخل الفيلا ..

جرينا لنجد أن الخدم يحملون المكانس ويقفون أمام الغرفة الصغيرة التى انتحرت فيها (كليوباترا) صباح اليوم .. كانوا ما بين إحجام وإقدام وأعتقد أننى فهمت السبب ..

رآنا أحدهم فصاح فى جزع :

ـ « لا مؤاخذة يا دكتور .. أم (هند) تزعم أن هناك ثعبانًا عملاقًا تحت المكتب !! »

* * *

حين يحدثكم (رفعت) إسماعيل بأسطورة مملة فإنه يعنى ما يقول ..

كما قلت لكم كانت أسطورة مملة .. وقد وفيت بوعدى ..

حان الوقت الآن للرجوع إلى أسطورتنا التي (تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة).. في القصة القادمة تحدث عن نبوءة.. وكان صاحبها عرافًا شهيرًا.. لكن ....

ولكن هذه قصة أخرى.

* * *

د. رفعت إسماعيل
القاهرة

[تمت بحمد الله]

ما وراء الطبيعة

روايات مصرية للجيب

أسطورة [illegible]

[illegible]



د. أحمد خالد توفيق

مطابع [illegible]

المؤسسة العربية الحديثة

الثمن في مصر [illegible] وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية [illegible]

العدد القادم :
أسطورة النبوءة